تاريخ الفكر والحضارة

الدكتور
محمد الصادقي

دار التراث الإسلامي
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

تاريخ الفكر و الحضارة

آيت الله العظمى الدكتور محمد صادقي الطهراني

دارالتراث الإسلامي

للطباعة و النشر و التوزيع

بيروت- لبنان

ص. ب. ٩٥٨٤

١٩٧٤

فهرس المحتويات

المقدمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمدالله الذي فطر الخلائق بقدرته، و هداهم برحمته، و هباهم من هدايته، برسل العقول و الفطر و الفكر، و رسل آخرين، مبشرين و منذرين، من خيرة البشر المصطفين الأبرار الطاهرين الأخيار.

و الصلاة و السلام عليهم ما طلعت الشمس و غربت، لاسيّما خاتم النبيين و سيد المرسلين محمد صلى الله عليه و على آله الطاهرين، و أصحابه الميامين، و من تبعه باحسان إلى يوم الدين.

المدخل

..دراسات في «تاريخ الفكر و الحضارة» تضم بحثاً عميقاً أنيقاً عن المختلف تطورات الفكر و الحضاراة طوال التاريخ. نبرهن فيه - تأريخياً و واقعياً و علمياً - أن رجالات الوحي هم وحدهم بناة الحضارات و كافة التقديمات الإنسانية، اللائقة بالإنسان كإنسان، فهم الذين حركوا الفكر الإنسانى إلى الأمام، و أُخرجوا من ظلمات الأوهام و البطالات، إلى انوار الحق و البطولات.

فوحي الأرض ليس بامكانه ـ وحده ـ بناء صرح رفيع من تقدم الفكر و الحضارة، اللذين يضيئان الدرب على الإنسان المفكر و المتحضر، اللهم إلا على ضوء وحي السماء الذي يحمله رجالات السماء، المبعوثين لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، إلى صراط العزيز الحميد.

ولئن إتخذت البشرية وحي السماء نبراساً ينير عليه دروب الحياة، و متراساً يدفع عنه منافيات الحياة و منافراتها؛ لعاشت على رغد الأمن و العيش، و حصلت على التعايش السلمى السليم عما ينغضه. ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ. أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ. أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ.أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ.تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا

لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ . وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ ﴿٧ : ٩٦ ـ ١٠٢﴾

فى هذه الدرسات نذود كافة التهم الجارفة الموجهة إلى الديانات الالهية، الخاصة عما سواها، دروساً عن صفحات التاريخ، متحللين عن التعصبات العارمة التي تربط خيرات الحضارات إلى وحي الارض، و إنسان الارض المتحلل عن وحي السماء.

فعلى رواد الفكر و طلاب الحضارة الصالحة، حمل هذه الرسالة إلى بني الإنسان كافةً؛ و لكى يعلموا أنّ الحضارات كل الحضارات نابعة من وحي السماء، و نابغة بوحي السماء.

محمد الصادقي

بيروت ١٣٩٤/٨/١ هجرية

١٩٧٤/٨/٢٠ ميلادية

الفكر في بحوث:

الفكر لغوياً:

الفكر قوة مطرقة العلم إلى المعلوم، و التفكر جولان تلك القوة بحسب نظرة العقل، و ذلك للإنسان دون الحيوان، و لايقال الا فيما يمكن أن تحصل له صورة في القلب مادياً أو معنوياً، و لهذا روى: «تفكروا في الآء الله و لا تفكروا في ذات الله»؛ اذ كان الله منزّهاً أن يوصف بصورة، و رجل فكير كثير الفكرة، و قال بعض الادباء: «الفكر مقلوب من الفرك»، لكن يستعمل الفكر في المعاني و هو فرك الامور و بحثها طلباً للوصول إلى حقيقتها.

الفكر منطقياً:

الفكر هو حركة من المبادئ و من المبادئ إلى المراد: إنّ تنظم المبادئ كما يجب، ناحية نحو المطلوب، و حاوية المكشف عنه، فكلّما كانت المبادئ أصح تنظيماً و أقرب تفاعلاً مع الواقع، كانت النتيجة أقرب إلى الواقع، أو هي الواقع بعينه؛ فالمنطق من الشروط الأصيلة أو بصيغة أُخرى هو حجر الأساس للوصول إلى النتيجة الصالحة من التفكير، و على حد تعبير الامام الصادق عليه السلام: «العامل على غير بصيرة لا تزيده سرعة السير إلا بعداً عن الطريق».

الفكر خلقياً:

لقد تولد الفكر الإنساني مع الإنسان قرنتين، اذا خلق الله فيه الفطرة الإنسانية و العقل، و الفطرة هي حجر الاساس للعقل، كما العقل كذلك بالنسبة للفكر، و

النسبة المنطقية بين العقل و الفكر، كالنسبة بين العقل و الفطرة عموم مطلق؛ فكل إنسان عاقل هو ذو فطرة إنسانية و لاعكس، كما في المجنون، كما أن كل مفكر عاقل و ليس كل عاقل مفكراً.

الفكر فلسفياً:

الفكر فلسفياً يعنى الجزء غير المحسوس فى زاوية الادراك الإنسانى النشيط الذي يحاول الحصول على المجهول فى واقع الكون و فى صالح الإنسان فى حياته الإنسانية، و بصيغة أُخرى: أنّ الفكر هو الإنسان و الإنسان هو الفكر، و محل الفكر من الإنسان هو المخّ و الدماغ، فلا يستطيع الإنسان أن يكفر بسائر حواسه و أُعضائه الا بآلة المخّ الذي هو محل العقل، كما الفطرة الإنسانية محلها القلب، و كافة القوى العاملة فى الإنسان عمال للقلب الذي هو الأم بالنسبة لأجزاء الإنسان المحسوسة و سواها، و على حد تعبير الإمام جعفر: «القلوب أئمة الأفكار، و الأفكار أئمة الحواس و الحواس أئمة الأعضاء».[1]

الفكر دينياً:

الفكر فى الإصطلاح الديني - و لاسيّما الإسلامي- من أهم العوامل المسعدة للإنسان دنيويا و أُخرويا، و قد أمر به (١٨) مرة في القرآن، و كما أمر باعمال العقل الذي هو عبارة أُخري عن التفكير (٤٨) مرة، تنديداً بمن لايعقل و لايفكر، و أن مصير هؤلاء الذين لايسمعون و لايعقلون إلى السعير: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ. فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ﴿ ٦٧: ١٠-١١﴾.[2]

و الصيغة الحاكية عن الجزء غير المحسوس من الكيان الإنساني، بصورة شاملة هى الروح المذكورة فى القرآن (١٩) مرة و كذلك النفس في الأكثرية الساحقة من إطلاقاتها (٢٩٥) مرة.

---

١. اصول الكافى باب العقل و الجهل.

٢. الرقم الأول رقم السورة القرآنية و الثانى رقم الآية طوال بحوث الكتاب.

ثم نجد هناك تعابير شتىً عن مختلف بيئات الروح و وظائفها: فقد يعبّر عن وعي الإنسان للحقائق و عقاله للباطل (١) بالعقل (٤٨) مرة، و عن تأمله و تعمله وسعيه لوعي أكثر وعي المجهول في واقع الحياة أو ما يحتاجه الإنسان في حياته الإنسانية، يعبّر عنه بالفكر (١٨) مرة، و عن نتايج التعقل و التفكير، و هو الوصول إلى مرحلة اللب من وعى الواقع، باللب (١٦) مرة؛ اعتباراً أنه لب العقل و خالصه، حينما العقل يتحلل عن قشوره و يبقى لباً، أي: عقلاً خالصاً ينحو نحو المعقول المجهول؛ إذ أنّ إنارة العقل مكسوف بطوع الهوى، فالتعقل الصادق الصحيح يحلل العقل عن طوع الهوى و قشره، و يوصله إلى لب المواقع حسب مراتب الكدح و كيفيته فى هذه السبيل.

و يعبر عن مسكن هذا النتاج العقلى و الفكرى بالصدر (٤٤) مرة، حيث و ينشرح بنور الحق و اليقين.

و يعبر عن تمكنه العميق فى عمق الروح في وعاء الصدر بالقلب (١٣٢) مرة، أحيانا بالفؤاد (١٦) مرة ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾(٢٢ : ٤٦) و يعتبر القلب مركز للإيمان أو الكفر فى أقوى مراحل الإدراك الإنسانى؛ فكم من عاقل مفكر ليس له إيمان صحيح، إذ لم يصل إلى اللب، حيث أخطاء الطريق فى التفكير، أو لم يقرن التفكير بالعمل؛ اذ أن من المفروض فى واقع الإيمان قرن التعقل و التفكير بالعمل الصالح، الذي يتطلبه التفكير، و لذلك ترى النسبة المنطقية بينهما أيضاً عموماً مطلقاً، فكل مؤمن موقن بقلبه، عاقل مفكر، و ليس كل مفكر مؤمناً، و كما يقول القرآن: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾﴿١٤:٢٧﴾

اذا فالعقل بتفكيره و بلبه و بصدره الحاوى لحاصل كدحه، إنّه يصبح من أجناد القلب و عمامه، و النقطة الرئيسية فى هذا الميدان هى المحاولة الدائمة لاعمال العقل و تفكيره، بتطويره، و لكي يتعرف إلى الواقع المجهول من الكون و ما تتطلبه الحياة الإنسانية.

٢- الفكر المتطور

الفكر المتطور هو المتكامل على ضوء المواصلة فى التعقل، و الإنسان غير المفكر و غير المتطور فى تفكيرة مثله كالانعام أو أضل سبيلا: كالجماد ليس مصيرهم إلا إلى جهنم و هم حطب جهنم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (٧ : ١٧٩).

إنّهم غافلون فى الحياة عما تتطلبه الحياة الإنسانية، و مهملون التفكير و التعقل، و إنّنا نجد الكثير من الآيات القرآنية تعتبر غير المتعقل أشر و أخسر من غير العاقل و أضل سبيلاً؛ اذ يظلم نفسه و يظلم مجتمعه الذى يعيش فيه، باهماله اعظم معطيات الحياة و هو التفكير.

فحجر الاساس فى إنسانية الإنسان، و على حد تعبير كتب الوحى و لاسيما القرآن، نجده فى تطوير الفكر و تحويره، إلى حيث يعتبر: «تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة»، فى واقع العبادة و نتاجها، هذه العبادة لا تدوم، و قد تتبدل إلى عبادة الشيطان و رفض عبادة الرحمان اطلاقاً.

و هنا نجد من أهم الدلائل الواقعية على صدق الاديان الآلهية و حضاريتها و تقدمها، نجده فى تحريضاً على تطوير الفكر و تقدمه، وكفاه دليلاً قاطعاً على أن الدين لا يتنافى مع العلم، بل و يتطلبه، و يعتبر موضحاً لحقائقه، و على حد تعبير ابن عباس: «إنّ للقرآن آيات متشابهات يفسرها الزمن» الزمن المتطور بتقدم العلم يفسر متشابهات القرآن التى لم يكن يفهمها البشر غير المتطور و غير المتقدم فى العلم، إذ لا تشابه فى القرآن من حيث الدلالة اللفظية، و إنّما من حيث عدم بلوغ العقل و العلم، فكلّما تقدم العقل البشرى و تقدمت العلوم، ظهرت حقائق من القرآن لم تكن لتظهر من ذى قبل.

٣- الفكر الحضارى :

الحضارة لغوياً هى الإقامة فى أى المدن و القرى، بخلاف البداثة، اذا فهى الاستقرار الذى ينشاء عن زارعة الارض و ألوان الصناعات و بناية البنايات، و هو السبيل الذى تنفسح فيه لأبناء المجتمع مجالات التطور؛ فاذا ولجوها تقدموا فى فنون اكتساب العيش.

و هى عند ابن خلدون طور طبيعى او جيل من أجيال طبيعية فى حياة المجتمعات المختلفة، و هكذا البداءة. و لكن البداءة أقدم، و أصل الحضر و الحضارة غاية للبدواة، و ترادف الحضارة المدينة.

هذا: و لكن علينا - فى نطاق البحث عن الحضارة الإنسانية الفكرية - أن نتوسع فى معناها إلى النواحى الروحية المعنوية أيضاً و بالاحرى، اذ أنّ الحضارة التى تعنى تقدم الإنسان لابدّ و إن تعنى التقدم الروحى، أى التقدم فى إنسانية الإنسان لا الناحية الحيوانية منه فحسب؛ فالحضارة الإنسانية هى تطبيق الإنسان نفسه على حاضر الواقع الحيوى و ما يحتاجه فى شتى مجالات الحياة الإنسانية بمعناها الصحيح؛ فبالرغم من أنّ الحضارة المادية هى غاية العمران، و اخيراً هى مبعث الفساد و الإنهيار، فإنّ الحضارة الإنسانية غايتها الكمال الإنسانى و التقدم إلى كل ازدهار فى الحياة، لا الانهيار، و لو أنّ الحضارة قورنت فى مصداقيها - المادية و المعنوية- و اعتبرت المعنوية حجر الاساس، لم تكن النتيجة الحاصلة عنها الانهيار و البوار.

فنحن اذ نبحث عن الحضارة لايتوجب علينا أن تتجمد على المعنى اللغوى أو الاصطلاحى، إنّما علينا أن ننظر من وراء هذه الكلمة إلى المفهوم التقليدى لها، أى إلى خصائص التقدم فى المجتمعات التى ندعوها متحضرة، و هذه الخصائص تنقسم إلى روحية و مادية، و إلى فردية و جماعية.

و من أهم الحضارات الفكرية ما تتلاءم تماماً مع الحضارة الدينية، أو بصيغة أخرى: أنّ الاخيرة تستوجب الاولى تماماً و لاسيما فى الشريعة الاسلامية.

و الفكر الحضارى هو المتفاعل مع الواقع الخارجى بالنسبة للحياة و متطلباتها، و البشرية -كما نعلم- فى محاولة دائمة للكشف عن واقع الحياة ، و واقع الهدف من خلق الكون و خلق الإنسان ، ولكى تحاول فى تحقيق الإنسجام التام بين الواقع و السعى فى سبيل الواقع. و لكى لا تذهب مساعيه فى الحياة هباءً منثوراً؛ فهناك تفكيرات متحللة عن الواقع، و ما هى الا تخيلات و أوهام لاتملك من مقومات الحقيقة شيئاً، الا ما يخيل إلى أصحابها.

و هناك تفكيرات متفاعلة مع الواقع- ولا أقول كلّها ناجحة- إنّما هى أقرب إلى الواقع؛ لأنّها فى صراط الكشف عن الواقع بنفس الواقع، اذ تتفاعل معه.. ولاسيما لو كانت مهتدية بهدى الوحى، سالكة مسالك الوحى، الذين لايصدرون الا عن الله.

و البشريه مهما كانت راقية و متقدمة فى التفكير، لابد و ان تجهل الكثير من المجهولات الحياة، دون أن تستطيع الحصول على الواقع تماماً، اذ إنّه ما اوتى من العلم الا قليلاً ، لو كان تفكيرها حول الانظمة و الواقع المادى فحسب فكيف بسواها: من الامور الروحية و المعنوية.

فاذا حاول الفكر فى تطوره ، التفاعل مع الواقع الخارجى، و التفاعل مع ما يحتاجه الإنسان فى حياته المادية و المعنوية، اذن فهو فى طريق مستقيم.

و مما يتوجب على المفكر فى هذا السبيل أن يمارس التفكير فى نفسه و فى آفاق الكون، نظرة متحللة عن الماديات. ثاقبة نافذة إلى ورائها، دون أن يتجمد فيها نفسها، و على حد تعبير الإمام على عليه السلام فى صفة الدنيا «من أبصر بها بصرته و من ابصر إليها أعمته»

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٤١:٥٣).

هنا نجد من أوليات ما يحصله الإنسان، على ضوء الفكر المتفاعل مع الكون، نجدها فكرة الآله، فانها من اوليات الحضارات الفكرية و احراها، حيث الواقع بكافة ما فيه من ظاهره و خافيه يدلنا: ان هناك آلها، بالرغم مما يخيل انى بعض الناس: انه ليس هناك من إله! زاعمين: ان العلم- ولاسيما العلوم التجريبية- لاتؤيدها، او و تتنافى معها، و هذه اول سقطة فى الفكر البشري، و أردأ الإرتجاعات و الإنحرافات الفكرية طوال التاريخ؛ فإنّها ليست الا من عدم التفاعل الصحيح بين الفكر و الواقع، أو سؤ تفاعله، لسؤ عوامل البيئة، أو دوافع الشهوة، أو السياسة، أو الإخلاد إلى ظاهرة المادة دون تفكير فى سواها، و لسوف نبرهن فى البحث التالي: (الفكر الديني) أن الدراسة و التفكر المتفاعل مع الواقع كيف تنتج فكرة الاله:

٤- الفكر الديني:

الدين قد يفسر بما يشمل كافة العقائد، سواء أ كانت إلهية أم بشرية، كتابية أم سواها، و قد يفسر بما يخص الأديان الإلهية و التشاريع السماوية، و هذا هو الصحيح. ثم الدين الالهي ايضا ينقسم إلى ما بقي خالصا عن شوائب الاوهام و اضغاث الاحلام، و ما تسربت و تربست فيه الخرافات و الاساطير مهما قلت او كثرت.

و تقسيم آخر للاديان الخالصة عن الخرافات: انها اما ان شرعت لزمن محدود أم لحد الخلود. ثم الفكر الديني قد يعنى فكر المعتنقين بالدين، و قد يعني سنة الشارع الالهي و حكمه، و نحن نعنى هنا من الاقسام المذكورة: الخالص منها، محدودة و سواها، للشارع او لمعتنقيها.

الفكر الدينية الالهية:

فالدين الالهي يتقدم حسب تقدم الإنسان و حاجاته الحيوية و ابتلاء للناس:﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٤٨.٥).

فالشريعة هكذا تتقدم، لا لعامل الجهل في السابق منها، ثم التعرف إلى المجهول متدرجا في اللاحقة، لأنّ الأديان الإلهية كلّها من الوحي الالهي الذي ليس فيه اي جهل او نقصان.

و اخيراً ينتهي إلى قوانين حكيمة خالدة تمشى مع الزمن، فلا يخلقها و لا ينسخها تقدم العلم و الحضارة، ما طلعت الشمس و ما غربت، و هو الدين الاسلامى السامي دون ريب، فانه بقرآنه الذي هو المصدر الأصيل للشريعة يجرى

كجري الشمس، و هو إمام العلم و أمامه و قدامه، لايتأخره و لا يقارنه، فانه في الحد الاخير مما يتمكن الإنسان ان يتقدم فيه في شتى مجالاته الحيوية، يدعو البشرية إلى التقدم و الحضارة، و إلى الفكر الصحيح المتفاعل مع الواقع، و إلى الحياة السعيدة الدنيوية، و إلى حياة الخلود، و قد يأتيكم نبأه الفصل في المقارنات.

و بصيغة عامة لا نجد أية حضارة و فكرة صالحة طوال التاريخ الا أن مصدرها الاديان الإلهية، بصورة مستقيمة، رغم الدعايات الضالة التى تجعل من الأديان غيلان تغتال البشر و تصده عن التقدم! و ان بينها و بين العلم و الحضارة بون شاسع! فهذه الدعايات بين جاهلة و عامدة: جاهلة اخذت حجر الاساس فيها الاديان المحرفه و الاساطير الدخيلة فى الاديان، و عامدة تريد القضاء على التشاريع العادلة الالهية، اذ تراها مانعة عن الشهوات و الحريات الشريرة الظالمة.

فبالرغم من هذه الدعايات الزور نحن اذا درسنا موقع الاديان الالهية في التاريخ درسا دقيقا، نجدها من اعظم بواعث التقدم و الحضارة بمعنييها دون ريب.

الفكرة الدينية للدينين :

ثم نجد تطورا ملموسا في المعتنقين الأديان ــ في غير المنحرفين منهم ــ الذين يطبقون الدين بكامله، كلّما كان حظهم فى التطبيق اكثر، نجد تقدمهم و تطورهم اكثر فأكثر.

ثم المفكرون الاخرون المتحللون عن الدين الإلهى نجدهم ــ أحياناً ــ متقدمين على ضوء ما اخذوه من التعاليم الدينية، رغم ما يدعون أُحياناً تحللهم في ذلك من الدين الإلهى اطلاقاً، و السير التاريخي في تطور الفكر يؤكد لنا هذا الحقيقة الناصعة بلاريب كما يأتي:

فالفكرة الدينية بين الفكر ــ ولا شك ــ رابطة اجتماعية تصل الناس بعضهم ببعض، و تلبي حاجتهم إلى التعاون و التشارك، و تؤلف قلوبهم و تنظم سلوكهم، فان للدين اهميته الكبيرة في ذاته و من حيث تأثيره في الحياة و التاريخ، و له دلالة حضارية عميقة لأعلى مستويات الحضارة.

ان الرباط الاقتصادي و السياسي، و كذلك الرباط الاقليمي و اللغوي، و حتى الرباط النسبي، هذه الرباطات ليست بالتي تربط المختلفين و تقضي على خلافاتهم. فإنّما الرابطة اعريقة هى العقيدة و الدين الإلهي. حيث تجمع بين مختلف القطاعات البشرية رغم اختلافها الوفير فيما سوى العقيدة و الدين.

و بما أن حجر الاساس فى الحضارة هى الوحدة بين المختلفين، فالدين اذا هو حجر الاساس للحضارات: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢١٣.٢)

و ليس اختلاف الاديان مما يدفع بني نوع الإنسان إلى الإختلاف، انما الدافع الاول و الاخير، من هؤلآء الذين أوتوه، اذ لم يؤمنوا به تماماً و زادوا فيه أو نقصوا، فلو أنهم كانوا مؤمنين بالله حقا لما اختلفوا في الدين ولا عنه، بل كانوا محتفين حول الدين الالهي دون خلاف.[1]

أجل، أن الدين هو الداعي الوحيد إلى الوحدة، وحدة الأمة البشرية على ضوء التشاريع الالهية، دون أن يحكم بينهم الا حاكم الحق و الشريعة الالهية.

فكم من حضارات انهارت بدافع الخلافات العارمة الهدامة. وكم من خراب عمر على ضوء وحدة العقيدة و الدين، و التاريخ اصدق شاهد على ذلك.

فالفكرة الدينية هي التي تدعو البشرية إلى إعمال العقل و الفكر و الانتفاع من كافة معطيات الحياة: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾(٢: ٢٩) ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(١٠:١٠١) ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾(٥٣: ٣٩)

و هى التي تدعو إلى أله واحد، تربط كافة الاتجاهات و النيات إلى الله تعالى؛ لكى يعمل الإنسان صالحات الاعمال فردية و جماعية، دون أن ينبغى جزاء من

١. راجع علل الاختلاف في الدين في الصحيفة ١١٥ من كتابنا المقارنات.

بني نوعه و لا شكوراً الا مرضاة الله تعالى و هي التي تدعو إلى الوحدة و التعاون فى سبيل الحق...و هي..؛ فلا نجد اي صالح من مصالح الحياة الا والديانات الإلهيه جعلتها حجر الاساس فى دعواتها. وكما يأتكم نبأه الفصل حين نسبر غور التاريخ في المقارنات الافكار.

فهناك نظامات بشرية تفرض على الاجتماعات من خارج، و أخرى إلهية تقوم و تنبعث من الداخل: داخل كل فرد من افراد المجتمع، فهل يا ترى أى النظامين أعدل؟ ثم أيهما أقرب إلى التطبيق؟ لاريب انه الإلهي العادل غير الخاطئ الذى يراقب الإنسان من داخل ذاته و عقيدته؛ فادا كان الارتباط فى العادات و الأعراف داخليا عَفَويّا، فانه فى الانظمة و الاحكام ابدي و أبين لما يتخلله من عقلانية و من ارادة للتنظيم و التنسيق، و هذا هو شأن الدين؛ فانه ليس مجموعةعقائد متفرقة و عبادات منتشرة، بل هو وحدة متصلة متماسكة: بين عباداته و معاملاته و سياساته و اقتصادياته، يربطها جميعا رباط الايمان بالله تعالى.

اول الفكر الدينية

ان الاديان المقدسة الإلهية اول ما تدعو من الحضارات العقلية و الفكرية، انما هو فكرة الإله الواحد التي هي نقطة الانطلاق لكافة الفكر الحضارية، المادية و المعنوية.

هذه الفكرة المقدسة المتفاعلة مع الواقع تماما تحرر الإنسان عن عبادة الاوثان و الاصنام و الطواغيت، و عن الخضوع لما سوى الله الواحد القهار الذي بيده ناصية كل شئ.

انها تبعت الإنسان عن الاخلاد إلى المادية و الحيوانية تبعثه إلى الاتصال العقلى و العلمى و العملى بخالق الكون و ان يتبع ما سنه من قوانين كونية و

شرعية و لكي يفلح في الحياة الإنسانية انها فكرة طالماً يفكر فيها عباقرة العلوم التجربية و سواها[١] معتبرين موانع الإيمان بالله :

١- الظروف السياسية المستبدة التي ترمي إلى شيوع الالحاد و محاربة الإيمان بالله.
٢- المنظمات و البيئات الكنسية المسيحية التى تبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم: في إله هو على صورة الإنسان مثلث الأقانيم ، صلب بأيدي عباده ضحية لذنوبهم.
٣- و طبيعة التحلل عن القوانين الإلهية المحددة للشهوات، هذه الطبيعة الشريرة التى قد تقضي على قضاء العقل و الفطرة.

لذلك نرى الملحدين في الله بين المسيحيين أكثر منهم بين سواهم: من الملبين، اذ ان العلم و ان كان يصدق فكرة الإله أصالة، و لكنه يتنافى و كون الإله إنساناً عاجزاً ولد و صلب، لذلك تراهم يرفضون فكرة الإله، لا لشيءٍ الا لان الاله الذى اعتنقوه منذ الطفولة في الكنائس ليس الذى يمكن أن يكون خالقاً للعالم .

ثم نرى هؤلاءالعلما التجريبيين يعتبرون علومهم من اكبر الدوافع للايمان بالله، و ذلك بالرغم من أن البحوث العلمية لم يكن يقصد من إجرائها إثبات وجود الخالق؛ فغاية العلوم هي البحث عن خبايا لطبيعة و استغلال قواها، و هى لاتدخل في البحث عن مشكلة النشأة الاولى؛ لانها من المشكلات الفلسفية، و العلوم التجريبية لاتهتم الا بمعرفة: كيف تؤدي الاشياءوظائفها؟ و هى لاتهتم بمعرفة من الذى جعلها تعمل أو تؤدي هذه الوظائف؟

و لو أن جميع المشتغلين بالعلوم نظروا إلى ما تعطيهم العلوم من الأدلة على وجود الخالق بنفس روح الامانة و البعد عن التحيز الذي ينظرون به الي تنائج بحوثهم، و لو أنّهم حرّروا عقولهم من سلطان التأثر بعوأطفهم و إنفعالاتهم؛ فإنّهم

---

١. راجع ص ٢١-٣٠ من كتابنا ـحوار بين الالهيين و الماديين.

سوف يسلمون - دون شك - بوجود الله و هذا هو الحل الوحيد الذي يفسر الحقائق.

فدراسة العلوم بعقل منفتح سوف تقودنا - بدون شك- إلى إدراك وجود السبب الأول الذى هو الله.

و هناك دوافع أخرى تدفع الإنسان إلى الايمان بالله حفاظاً للكيان الإنساني و بعثاً له إلى كافة الحضارات و متطلبات الحياة[١] كتحللة عن قيود الهوى المردية و أخطانه المتواصلة عقلية و مادية، و ان النظام التربوي الذي يناسب كل الناس في سائرالازمان يقوم على الايمان بالله؛ فالدين من الوجهة البيولوجية يمكن تعريفه بأنه عبادة الإنسان لقوة عليا لا نهاية لها، نتيجة لشعوره بحاجة في قرارة نفسه إلى هذه القوة .

و على حد قول «ما كس بلانك » العالم الطبيعي الذي فتح الطريق إلى اسرار الذرة: ان الدين و العلوم الطبيعية يقاتلان معا في معركة مشتركة ضد الشك و الجحود و الخرافة، و لقد كانت الصيحة الجامعة في هذه الحروب - و سوف تكون دائماً- إلى الله تعالى.

١. راجع ص ١١٨-١٢٣ من كتابنا حوار بين الالهيين و الماديين.

جبر التاريخ:

الجبر لغويا: هو اصلاح الشيء بضرب من القهر ،و قد يقال للقهر المجرد: كالجبار العنيد.

و أيّا كان فممّا لاريب فيه ان الدين جابر للتاريخ أى مصلح ، يصلح الفاسد من التفكيرات الجاهلية الشريرة، و الاعمال غير الصالحة و لانجد طوال التاريخ مصلحين سوى الأنبياء و أتباعهم و من تغذى شيئا من تعاليمهم النيرة.

فهناك في التاريخ جبارعنيد و هو الفكر المادي الالحادي الذي يجعل من الإنسان جمادا لايتحرك و حيوانا لايهوى الا إلى الشهوات، أو مكينة ليست الا للعمل لصالح الشهوات.

و هناك جبار مصلح و هو الفكر الديني الذي يجعل من النسان ملكا نورانيا أو أفضل منه، و كادحا إلى ربّه كدحا و ساعياً في كافة مجالات حياته لصالح الحياتين.

ثم نجد معاركة متواصلة بين الجبرين طوال التاريخ ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ.الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٢٢: ٤٠-٤١).

و أنّما تأخر الجابر الصالح للتاريخ - أيّا كان- إنّما هو لتأخره عمّا يجب عليه من التضحية في سبيل الله و عدم مكافحته الجبارين المفسدين، و قد تتحقق المكافحة الصالحة الحاسمة للافساد في اخر الزمن حيثما تسفر صبح الدولة الإنسانية على ضوء دولة المهدي. عليه السلام

جبر التاريخ في المصطلح:

انه إصلاح التاريخ نفسه، كل غابر حاضره و كل حاضر مستقبله؛ فإنّ التاريخ أنّما هو ابن نفسه، كل لاحق ابن ماضيه ، كما أنّ رجال التاريخ كذلك.

و ليس التاريخ موجودا مستقلا له كيان منفصل عن رجال التاريخ المصلحين، و إنّما هو مدرسة لمن يريد أن يدرس درس الإصلاح؛ فلينظر إلى تاريخ الشعوب و لكي يعتبر بما مضت عليهم من حوادث ناتجة عن حسن تصرفهم أو سوء تصرفهم؛ فمن الزعماء من يدرس درس الشيطنة و الملعنة من التاريخ، كيف يدجل و يوسوس حتى يستحكم عرشه لايام قلائل: و هم الأكثرية الساحقة.

و منهم - و هم الاقلون - من يدرس دروس الاصلاح من أُعماق التاريخ، و لكي يجمع كافة المصالح في زمنة لشعبه و يصبح تاريخ صالحاً لمن يستقبله بعده، و هؤلاء هم بناة التاريخ المصلحون.

و الإنسان كائنا من كان انما هو ابن ماضيه، الا من كان كيانه وحي السماء فليس - اذا- الا ابن الوحي، يرتضع من ثدي الوحي و يرضع الشعوب كما يقتضيه وحي السماء، وافق ماضيه أم خالفه.

و اصطلاح آخر: ان التاريخ يجبر أبناءه أن يمشوا ممشاه، شاءوا أم أبوا، و هذا هو المعنى الصحيح ل "ان الإنسان ابن ماضيه".

و لكنّما الإنسان الحر يحول أن يكون ابن نفسه بما يختاره من صالح للحياة، دون أُن يجبر بالتاريخ، أُو تؤثر فيه عوامل البيئة التي يعيشها، و إنما يؤثر في مجتمعه تأثيرات صالحة و يصبح من بناة التاريخ ، دون أُن يتبناه جبرا على نفسه.

التفسير الواقعي التاريخ :

و نحن اذا فسرنا التاريخ، متحللين عن الآراء الفاسدة ، و الإنحرافات الجارفة، ناظرين إلى حوادث التاريخ من منظار الحق و الصدق وجدنا أن الأفكار المحركة للتاريخ نحو التقدم و الرقي إنما هي من رجالات الوحي و من نحى منحاهم.

و هناك من يحرف التاريخ عن واقعه و ينسب الكثير من التفكيرات الصالحة إلى غيرالصالحين من ماديين و مثاليين أو منحرفين عن التشارع الإلهية أيّا كانوا، مختلسين هذه الأفكار الصالحة من أهلها الصالحين، و هذا ظلم في التاريخ و انحراف جارف، و قد نبحث في البحث الاتي : "الفكر الفلسفى" في قسم الأفكار المحركة للتاريخ، نبحث هناك ما يفضح الخونة المختلسين. و الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

الفكر الفلسفي : الواقعية – المثالية – المادية :

التصفح الفلسفي في صفحات التاريخ ينتج ان هناك افكار ثلاثة: و هي في نفس الوقت حاصرة عقليا : مثالية - مادية - واقعية.

المثالية: و هي على ضربين : سوفسطائية و عقلية و الثانية تعني أصالة العقل كما سيأتي.

و المثاليون السوفسطائيون هم القائلون : ليس هناك من حقيقة ، مادة أم سواها، انما مثال الحقيقة و صورتها ، فليس للكون وجود فعلي - كل ما في الكون و هم او خيال او مكوس في المرايا او ظلال - فإنّنا لاتتمكن من تصور العالم - لو إنّه موجود - بصورته المادية من طريق المفاهيم الفيزيائية الجديدة؛ اذ لا سبيل لنا للتعريف إلى الكون الا من طريق المفاهيم ، و هى صور غير مادية و ليست الا مثالية الوجود لا نفسه، فإنّما تحكي من الواقع حكاية مثالية لا واقعية و بين الحاكي الوهمي المفهومي و المحكي الواقع بون و التعريف إلى الواقع على فرض وجوده لايصحو لايحق الا بالوصول إلى الواقع نفسه، اذ ان الحكاية و لا سيما الناقصة لا تغني من الواقع.

و يقولون : لا ننكر ان بالامكان تصديق الواقع ، انما نقول : هذه الحكاية المثالية - على ضعفها في نفس الذات - فاشلة من حيث عدم توافقها للواقع، اذ نجد الكثير من هذه الحكايات غالطة كاذبة.

و لنتساءل هؤلاء السوفسطائيين، لو كان هناك حقيقة، ترى كيف يجب أن تكون : ذاتها و صفاتها و آثارها، التي لاتجدها الان، و كيف كان بمستطاعنا أن نتعرف إليها؟

فهل كنا نجد ذات الكون بمادته في ذواتنا لكي تختص حقيقته بنا؟ فهذا من المحال عقليا ان ينتقل هذا الكون الواسع ، مترامي الاطراف، ينتقل إلى دواخل

المحدودة ، التي هي ليست بالنسبة للكون أجمع الا كنسبة الذرة إلى البحر المحيط.

نغض النظر عن إستحالة هكذا انتقال، فهل باستطاعة الإنسان أن يجد غير ذاته وجدانا حضوريا ذاتيا دون وساطة صورة عنها ، و هو لا يجد ما في باطن جسمه من أجزاء بالعلم الحضوري رغم حضورها فيه، انما يجد روحه نفسها هكذا وجدان ، فليس للإنسان وجدان غيره الا بالاحساس أو تصور صورته؛ اذا فالقول : أن الكون و هم، لاننا لا نجده في ذواتنا هذا هو الوهم، أجل بالامكان أن تشكو في حقيقة الكون اذ لا تجدون من وسائل التأكد منه الا التصور و هو على حد قولكم لا يغني عن الحق شيئا.

ثم نقول: لايحق لكم الشك أيضاً ، اذ ليس سنادكم في هكذا شك الا اختلاف التصورات الحاكية عن الكون و لكنه لا يبرر الا الشك في كيفية الكون لا في واقعه؛ فمن الممكن أنّ يشك الإنسان في كيفية كائن ما مع العلم بانه كائن كما في كينونة الاله.

ثم نرجع ثانياً و نقول : هل ان لرأيكم : ان الكون و هم ، هل له حقيقة؟ ام انه أيضاً و هم كسائر الكون؟ فان كان وهما متحللا عن اية حقيقة كانت النتيجة : ان للكون حقيقة ، دل عليها حكمكم بوهمية الكون، و ان كان حقيقة فهذا يتنافى و حكمكم بوهمية الكون اجمع ، اذ ان هذا الحكم ايضا هو جزء كوني؛ اذا فالحكم بان الكون و هم - تصديقه و تكذيبه - تصديق لحقيقة ما للكون و ان كانت نفس هذا الحكم .

ثم نرجع ثالثا و نقول : بعد استحالة تحقق الكون بذاته في ذواتنا ، ينحصر التأكد من حقيقة الكون في الاحساس و التصور ، و هنا نسأل : لو كان للكون حقيقة كيف كنت تحسه او تتصوره ، انت لا تحسه و تتصوره الآن؟ هل دون شكل و لون و حركة و سكون و حرارة و برودة و طعم و ثقل و طول و عرض و عمق؟ اذا تصبح الحقيقة أسوأ حالا من المجاز، أو كنت تجده مع كل هذه

الحالات التي تجدها الان دون اي نقصان؟ اذاً فما هو المبرر للشك فيه أو التأكد من أنّه مجاز و وهم لا يحمل آية أصالة خارجية؟

ورابعا : أن هكذا حكم على الكون خلاف المحسوس القاطع من ادراكاتنا ، و الفرق بين الوهم و القطع هو الفرق بين الشك و القطع؛ فاذا لا نجد ما يريبنا في حقيقة الكون فما هو المبرر لان نعبر عنه بالموهوم و المجاز .

و خامسا : ما دمت غير مؤهل للوصول إلى حقيقة الكون فهلا تجد ذاتك ايضا : انها موجودة ؟ و لذلك تستطيع أن تتوهم و تحكم ، والا كان حكمك بالوهم و هما في وهم. فالتأكد من حقيقة ذاتك تأكد منك ان هناك حقيقة مّا، و فيه الكفاية للبحث عن حدوثه و أزليته .

و اخيراً لو انكرت الحقيقة في ذاتك أيضاً فسواء لك أهتكناك أم احترمناك، ضربناك ام كرمناك، اذ ان الذات الوهمية صفاتها و عوارضها ايضا وهمية لاتؤخذ بعين الإعتبار.

هذه هي المثالية السوفسطائية التى ذهب إلى ها شرذمة من الناس و سوف نبحث عن العقلية أيضاً.

المادية :

لقد مضى على التاريخ الإنساني ادوار مادية و حتى الان، المتمثلة في الماديين و الوثنيين على مختلف أصنافهم ، و هذه أيضاً كالمثالية السوفسطائية فكرة رجعية لا تتفاعل مع الواقع المطلق، إنما مع الواقع المجاز المختلق متحللاً عن حاق الواقع و عن مصدر الكون الذي هو الواقع تماماً، بالرغم من أن الكون بكافة ما فيه برهان لامردّ له على أن هناك مكوّنا لا محالة، لولاه لاستحال الكون اطلاقا.

المادة لا سواها :

الماديون يزعمون ان المادة تشمل كل مجالات الكون و لا يسمحون للموجود غير المادي ان يتسمى بالكائن ، مدعين ان الفكرة الميتافيزيقية المعتنقة تصديق الإله المجرد عن المادة ، فكرة رجعية خرافية لايساعدها العقل و لا العلوم

التجريبية ، و لاتتلاءم مع العلم اطلاقاً، و اخيراً ينكرون وجود الإله المجرد عن المادة و يقرون ان الخالق لمختلف تطورات المادة هي المادة الاولية لا سواها.

ثم هم بين مدع لأزلية المادة ، و قائل بحدوثها : و ان العالم ليس الا تسلسل الحوادث المادية :" أزلية التسلسل" دون ان تكون المادة ازلية شخصية. هؤلاء الحسيون يستندون في إنكار الاله بأنّه ليس في متناول الحس و العلوم التجريبية ، و ما لايصدقه العلم؛ فمن الجهل أن نؤمن بوجوده . . كأن الحس هو الوسيلة الوحيدة لادراكات الإنسان دون سواه، فالإنسان عندهم حيوان لا يملك الا الحس !

الواقعية :

و لكن المادية و بالأحرى المثالية السوفياتية ليست بالفكرة التى تتفاعل مع الواقع ، و انما هي الواقعية الميتافيزيقية اذ تتفاعل مع الواقع تماما، حيث نجند العقل و الفطرة و العلوم العقلية و التجربية للكشف عن الواقع، نجد ان الكون من اجناد فكرة الإله، رغم التفكيرات الالحادية التي تزعم أنّ الواقعية رجعية لاتتلاءم و العلم[1] و لانجد في الفكرة الالحادية دوافع لها الا قصورها عن درك الواقع كما يجب، و قصورها في فهم التجرد و الحدوث. و قد يصح ان نعبّر عنه بالقصور العامد، اذ هم لايريدون ليحصروا أنفسهم في حدود التكاليف الإلهية، و يهدفون من وراء انكار الإله التحلل عما تفرضه فكرة الإله و نضيف إلى كل ذلك الظروف السياسية المستبدة التي ترمي إلى شيوع الالحاد و محاربة الايمان.

و المنظمات و البيئات الكنسية المسيحية التي تبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم في إله هو على صورة الإنسان مثلث الاقانيم. صلب بايدي عباده ضحية لذنوبهم.

---

١. راجع ص ٣٠ - ٤١ حوار بين الالهيين والماديين .

و الكلمة الجامعة للواقعيين ان العلم في كافة مجالاته العقلية و التجريبية يعيش مع فكرة الإله، لو تحلل عن التعصبات العارمة العمياء، بالرغم من ان العلوم التجريبية لا تقصد منها الا الفحص عن خبايا الطبيعة، دون ان تهدف حل مشكلة النشأة الاولى؛ فانها تجر الإنسان بالطبيعة الحال إلى فكرة الإله ، لو لم تمنعها موانع شهوانية و اضرابها من تخلفات عن نجد الصواب.

فكرة الاله طوال التاريخ:

ان الإنسان بحكم الفطرة لا يستطيع ان يتحلل عن فكرة : «طاقة جبارة فوقه» و ان يستغني عما سواه اطلاقا، لما يرى من التحكمات المتواردة عليه رغم ما يفكر و ما يريد.

فهم اما ان يفكر في المادة لا سواها، فيراها انها الطاقة الجبارة الوحيدة في الكون دون سواها، كالماديين و الدهريين، الذين يعيشون هذه الفكرة الالحادية طوال التاريخ.

او يفكر فى ان هذه الطاقة ليست الا في البعض من صور المادة؛ فيعتبر هذا البعض إلها و آلهة، اصلية فى الالوهية او خلفاء عن الإله الاصيل أو يفكر فى ان الطاقة الأزلية و الأبدية تختص بالإله المجرد عن المادة.

ثم هؤلآء بين من يجرده عن كل المشابهات و الحاجات المادية، و هؤلآء هم الإلهيون الحقيقيون.

أم يجرده من الازل ثم يعتبره حالا فى الجسد بعد الازل، فى جسم عبد من عبيده، او في الكل، حسب مختلف مراتبهم في الكمال، كالحلولية و منهم طوائف من النصارى.

أم يعتبره مجردا حال أنه جسم، و موجودا حال انه معدوم، و قد نسب الاخير إلى الباطنية القائلين: إن الله منزه عن مشابهة المخلوقات... و لو كان موجودا لأشبه المخلوقات، و لو كان معدوما لاشبه المعدومات..فهو لا موجود و لا معدوم.

فكما أنّ المثالية السوفسطائية و المادية فكرة خرافية لاتتفاعل مع الواقع الخارجى، كذلك فكرة الإله في الكثير ممن يعتنقونها، لأنّها بين خلع الإله عن

الوهيته، و إشراك لغيره في الالوهية، و تمثيل له بخلقه فيما تستلزمه الخلقة.... و كل هذه الخرافات و الرجعيات الفكرية بشرية اطلاقا، و انما فكرة الإله ــ الخالصة من الخرافات ـ انما هي من رجالات الوحي.

فالديانات المقدسة الإلهية تعطي للعقل السيادة و الأصالة فى التفكير، و ترشدها إلى الواقع كما يجب، اذا فهي متفاعلة مع العقول والافكار المتفاعلة مع الواقع، تفاعل في الفلسفيات و السياسات والاقصاديات، اعتباراً انها: (الديانات) أئمة للأفكار في هذه التفاعلات، دون تجبر عليها وتهكم، انا ارشاد إلى ما قد تخفى على العقول من الواقعيات، فى الواقع الخارجى و فيما تتطلبه الحياة الإنسانية في تقدمها نحو الكمال؛ اذا فهناك تفاعل جذري واقعي بين الدين و العقل و الحس إلى فكرة الإله: رغم هؤلآء الدينيين الذين يتحللون أحيانا من حكم العقل لواقع المنافات بينهما، كالمسيحيين.

و رغم العقليين الذين يتحللون أحيانا من الدين، زعم ان العقل قد يتنافى مع الدين اولا يؤيده، و رغم الحسيين الذين لايصدقون واقعية الا في حدود تصديق الحس المباشر.

سيادة الدين او العقل او الحس:

فانما خطأ العقليين ينحصر فى اعتبارهم الدين المخرف الهيا، كخطأ العقليين الذين يعطون للعقل السيادة المستقلة دون حاجة له إلى ارشاد من فوق العقل، و خطأ الحسيين حصرهم وسائل الادراك في الحس، و حصرهم الواقع فى المحسوس و هم في الحق لايعتبرون الإنسان الا حيوانا، يحرمونه من الادراكات غير الحسية التي يمتاز بها الإنسان عن سائر الحيوان.

و الدينيون الحقيقيون، يعطون السيادة للدين و للعقل و الحس جميعا، اعتبارا ان الدين بتعاليمه النيرة إمام الاخرين يرشدهما من الاخطاء التي تعرض العقول و الحواس.

الصراع بين الدين والعقل والحس في تاريخ الفكر الاوربى:

لقد مضت على التفكير الاوروبي منذ القرن الرابع عشر حتى الان مراحل شهدت فيها العقلية الاوروبية صراعا فكريا عجيبا و اتجاهات عقلية مختلفة تدور حول تبرير مصادر المعرفة التي عرفتها البشرية طوال تاريخها حتى الوقت الحاضر، و هي الدين و العقل و الحس، و في كل مرحلة من هذه المراحل نشأ سؤال عن قيمة أي واحد من هذه الثلاثة كمصدر للمعرفة المؤكدة ثم يكون الجواب ايجابيا أو سلبيا.

و رغم ان هذا الصراع لايخص التفكير الاوروبي فانه يسود التاريخ في مختلف عصوره، فاننا نستعرض الان عرضا من اهم ادوار التاريخ في هكذا صراع و نبرهن انه لم يكن صراعا واقعيا بين الدين الواقعي و العقل و الحس الصحيحين، انما بين الدين المحرف و العقل المدخول والحس الحيواني غير المنطلق.

سيادة الدين:

كان الدين سائدا طوال القرون الوسطى في توجيه الإنسان في سلوكه و تنظيم جماعته، و في فهمه لواقعه وواقع الحياتين.

و البابوية كنظام كنسي ركز السلطة العليا باسم الله في يد البابا. و سوى الاعتبار بين نص الكتاب المقدس و رأى الكنيسة، ترجيحا للثاني على الاول عند الاختلاف، اعتبارا انه يوحى إلى الكنيسة بعد وحى الانجيل ما يحق لها أن تنسخ حكم الكتاب، و جعل عقيدة التثليث أصلا تبنى عليه المسيحية، كما جعل الاعتراف بالخطإ و صكوك الغفران من رسوم العبادة.. كل ذلك مضافا إلى الجمود و التأخر وإلى ما يناقض العقل و الحس في كلا المصدرين: الكتاب المقدس والكنيسة.[1]

استمرت سيادة الدين حتى قام«مارتن لوثر» في القرن الخامس عشر، فكافح (على حد تعبيره) تعاليم الشيطان ـ يقصد بها الكنيسة ـ و جعل الاصل الكتاب

---

١. راجع كتابنا((عقائدنا)) من ص ٢٠٨.

المقدس، و انه نفسه مصدر الحقيقة فيما يتصل بالايمان ثم جعل هكذا ايمان مقدما على العقل و الطبيعة.

و جاء بعده (كالفين) وأقر لوثر على اصله، و استثنى تفسيرات الكتاب المقدس، و على اثر هاتين الحركتين الاصلاحيتين تعرضت المسيحية للجدل الفكري و اصبحت موضوعا للنقاش العقلي والمذاهب الفلسفية، واخيرا اعتبر الدين «المسيحية» فوق العقل فلا يسمح للعقل النقاش فيه، حفاظا على كرامته اذ رأوه يتنافى و العقل![1]

سيادة العقل:

لقد استمر اعتبار الدين المسيحى كمرجع اخير للمعرفة بين معتنقيه إلى النصف الثاني من القرن الثامن عشر و هو عصر التنوير في تاريخ الفلسفة الاوروبية، و له طابعه المشترك في الفكر: الالماني و الانجليزي و الفرنسي ـ من : ولف و لوك و فولتير ـ و طابعه الفكري الذي يتميز به: نمو شعور العقل و احساسه بنفسه، و بقدرته على ان يأخذ مصير مستقبل الإنسانية فى يده بعد ان يزيل كل عبودية ورثها من قبل، و التحلل عن التقاليد الجاهلة الجامدة المنافية لحكم العقل و تقدم العقل؛ فللعقل في نظر العقليين ــ اصحاب عصر التنوير ــ الحق في الاشراف على كل اتجاهات الحياة و ما فيها من سياسة و قانون ودين.

و كما يسمى هذا العصر بـ: «عصر التنوير» يسمى أيضا بـ: « العصر الإنساني والعصر الايماني الفلسفي، بإله لا يوحي انما هو خالق للعالم»؛ فالتنوير لا يقصد به الا إبعاد الدين عن مجال التوجيه و احلال العقل محله فيه، بالرغم من أنه كان في كل من العصرين أنصار لما رفضه طائفة من العلماء، من الدين أو العقل.

و ان الدوافع هذا الصراع و تبديل السيادة هي الظروف السيئة التي أقامتها الكنيسة و الكتب المقدسة المحرفة، في الحياة الاوروبية سواء في مجال التوجيه و البحث، او في مجال السياسة، او في نطاق العقيدة و الايمان.

---

١. راجع كتابنا((عقائدنا)) من ص ٦٥.

فقد ابين ان زوال سيادة الدين و حلول العقل محله لم يكن الا ان الدين السائد بين هؤلاء لم يكن خالص الوحي الالهي، فعلى حسب الخرافات الدخيلة فية حورب حتى حل محله العقل؛ لانه كان منافيا للعقل، اذا فالعقل لايباين الدين الالهي الصادر عن الوحي الخالص، بل و يؤيد فكرة الإله و هو من خدامها، و انما يباين غيرالمعقول من الدين الذي ليس الا من تحريف المحرفين المبطلين؛ فاما الدين الاسلامي المحرك للعقل و العقلاء نحو التفكير الدائم و التفاعل مع الواقع؛ فلا يحل محله العقل ليبطله او يحكم عليه بل سيبقى سيذا و ساندا مر الدهور، كلما تقدم العقل تقدم في السيادة أكثر و أكثر.

سيادة الحس و مذهب الوضعية:

إنتهى عصر التنوير بانتهاء القرن الثامن عشر، و حلت سيادة الطبيعة محل السيادتين: الدينية و العقلية ، و تقدر هذه الفلسفة الطبيعية، لا كمصدر مستقل فحسب للمعرفة، بل كمصدر فريد للمعرفة اليقينية او المعرفة الحقة، و أن الطبيعة هي التي تنقش الحقيقة في عقل الإنسان، لا وحي الدين و لا فلسفات العقل المتحللة عن الطبيعة فهي وحدها التي تكوّن عقلية الإنسان، فكل ما يأتي من «ما وراء الطبيعة» خداع للحقيقة ! و كذا ما يتصور العقل المجرد من نفسه ، هذا وهم و تخيل للحقيقة و ليس حقيقة ايضا.

و بصيغة موجزة: كلما يوحى إلى العقل من نفسه او مما وراء الطبيعة، انه وهم و خيال لايملك من مقومات الحقيقة شيئا، و كلما يوحي إليه من طبيعة الكون، و ما يستلهمه منها، هو حق؛ فعقل الإنسان في الفلسفة الحسية وليد الطبيعة في المعرفة، كما هو وليدها في الخلقة، و هذا هو العقل و الفكر المتفاعل مع الواقع في نظر الحسيين، لا الفكرة الدينية او العقلية المجردة.

الا أن الحق المعقول و المحسوس هو سيادة الدين الالهي غير الخرافي، المتمثل المجتمع في شريعة الاسلام و القرآن، اذا انه يجعل المراد للعلم الالهي الذي يصدقه الحس والعقل، و يأمر البشر أن يستوحي من الآيات الآفاقية ــ الحسية و العقلية ـ و كذلك الآيات الانفسية، مستوحيا في التجنب عن الاخطاء

و في التقدم المتواصل، من الوحي الالهي: «سنريهم». و بذلك نعلم أن التحلل عن الدين، ثم من العقل إلى سيادة الطبيعة، ليس يعني الا الاديان غير الالهية او الالهية المحرفة التي تكذبها العقل و الحس قليلا او كثيرا، كما لايعني الا العقول الدخيلة المقبورة في قبور الحيونات و الحسيات.

من مقالات الحسيين:

و مما يقوله الحسيون:

ان الطبيعة هي التي تنطق من نفسها، و على الإنسان أن يعتمد منطقها دون سواها، سواء منطق الالهيين او العقليين، فالطبيعة هي التي يخط الطريق المستقيم في حياة الإنسان، و هؤلاء يرون ان الدين مخدر و كما يقول (ماركس).

تاريخ المعرفة:

و خلاصة القول هنا أنه كانت معرفة الإنسان قبل تفلسف الاغريقي ذات طابع ديني، ثم أصبحت على مهد سقراط و أفلاطون من فلاسفة اليونان: عقلية، ثم مالت بعد ذلك على مهد أرسطو إلى التجربة و الواقع، ثم ابتدأت دورة أخرى من جديد.. فاعتبر الدين فى القرون الوسطى مصدرا للمعرفة، ثم جعل للعقل اعتباره بدلا من الدين في عصر التنوير في القرن الثامن عشر، ثم قوي الميل إلى اعتبار المعرفة الحسية او الوضعية وحدها دون العقل و الدين معا في القرن التاسع عشر، و هذه دورة ثلاثية لاعتبار المعرفة، فلسفيا.

هذا، ولكن النظر المطلق المتحلل من التعصبات المادية الشهوانية، يعطي الحق للدين وحده: الدين الالهي الخالص المتفاعل مع العقل و الواقع تماما، المستخدم عقلية الإنسان و واقع الحياة لتنظيم أساس الحياة، دون أن يشذ عن حكم العقل - بل و يرشده - و دون أن يتخلف عن واقع الكون و ما تتطلبه الحياة الإنسانية.

و ما يوحيه الدين الحق: ان على الإنسان ان يستوحي من ذاته، من فطرته و عقله، و أن يستوحي و يستمد من خارج ذاته: من واقع الكون، و ان يستوحي من الله خالق الكون، ليصلح أخطائه في الوحيين غير الالهيين، و ليواصل فى طريقه إلى الكمال المطلوب للإنسان.

اصالة المادة:

و فى الحق ان الحسيين يرون فرض تبعية العقل للمادة، و هذا هو أساس رئيسي في تعإلى م الماركسية، و هو يلعب دورا قويا في الصراع بينها و بين الدين.

ماركس هو الفيلسوف الذي أثر تأثيرا كبيرا في انتصار البحث الطبيعي الواقعي على الميتافيزيقيا، و آرائه مع انجلز تعتبر دستور الماركسية فيما يسمى بالاشتراكية الجماعية او الشيوعية و البلشفية.

قيمة الماركسية كمذهب فلسفي:

ان الماركسية ليست مذهبا جديدا في التاريخ الفلسفي بين الفكر الفلسفية، انما هي امتداد للصراع بين الطبيعة و الحس من جانب، و بين الدين و الميتافيزيقا من جانب آخر.

انها صراع فكرى بين الله و العقل من جانب، و بينه و بين المادة من جانب آخر. هى صراع بين القيمة الإنسان و الحياة الإنسانية و بين سواه من حيوان و حياة حسية و حيوانية، و هي أخيرا صراع بين حرية الإنسان في ان يتصور، و في أن يوجه الطبيعة و يرتفع بقوته البشرية فوق قوتها المادية و بين جبر الطبيعة للإنسان و املائها عليه تكوينها الخاص و توجيهها المعني و هدفها الذي لا ينفك منه في حياته .

ان الصراع بين هذين قديم منذ وجد الدين و قبل ان تتكون الميتافيزيقا كعلم، و قبل ان يوجد (كارل ماركس) و اضرابه الجدد، انه قديم منذ ان اعتقد الإنسان في الله و الشيطان معا، ثم أخذ ألوانا شتى و أسماء مختلفة إلى أن وصل إلى ماركس في القرن التاسع عشر.

و صراع الدين مع الماركسية صراع اوربي أنتجته العقلية الاوروبية وحدها ، فهو يمثل حلقات العقلية الاوروبية، و ان التفكيرالاوروبي منذ النهضة الاوروبية التي استغرقت القرنين الخامس عشر في فلورنس و السادس عشر في روما ، حتى وقت هذا الصراع الماركسي ، هو محاولة للاجابة عن الاسئلة التالية :

ما قيمة النص او الدين في التوجيه و المعرفة ؟

ما قيمة العقل او المثالية في التوجيه و المعرفة ؟

ما قيمة الحس و الواقع في التوجيه و المعرفة ؟

ملاحظات على الماركسية :

١-تصف الماركسية فكرة الاله الميتافيزيقية : ((الدين)) بأنها خرافة مخدِّرة ، لانها تدعو إلى تأليه غير المحدود و غير المحسوس في الوجود ، و هي نفسه تقف عند المحدود و المحسوس، و بأن الدين يدعو إلى تقديس علة عامة للوجود وراء الحس ، و هي تنكر وراء الحس اذ يحصر الموجود في المحسوس و بأنه يدعو إلى القيم الاخلاقية ((و المثل العليا)) الثابتة ، و هي لا تري ثباتا لشيء على الاطلاق ، كما لا ترى قيما و لا مثلا فيما عدا ما يوحي إليه الحس و ما يقدمه للإنسان من متع حسية ، و مما يسد به حاجة بدنه فحسب ، اذ المتع العقلية عندها ظواهر او صدى للمتع الحسية و لعلاقات الإنسان الطبيعية التي يعيش فيها .

و الماركسية لا تعيب الدين لانه يدعو إلى الاعتقاد و الايمان ، لانها نفسها تدعو ايضا إلى الاعتقاد و الايمان ، و تحمل في عنف و اصرار - لا عن اقتناع - على تقديس ما تراه اهلا للتقديس و العبادة ، انها تدعو إلى عبادة (الدولة) و تدعو إلى الصلوة في محراب العلوم التجريبية ، و تضفي على الحزب الشيوعي و رئاسة هذا الحزب لونا سميكا من القداسة و العصمة ، و لا تسمح للمناشقة في أفكارها و نظمها ، كأنها الله ! انها تدعو إلى ايمان و عبادة معبودها هو الدولة، و تدعو لذلك من طريق الفلسفة، فهي و ثنية باسم الفكر، و في نفس الوقت معبود

وهمي لا وجود له الا في التصور الذهني؛ فانما الاختلاف بين الفكرين و العبادتين اختلاف المعبودين بمختلف ألو ان العبادة و نظمها !

٢- تعيب الماركسية القيم الاخلاقية و ان يكون هناك اعتبار عام للمقاييس الاخلاقية ، تعيبها لمنافاتها مبدأ النقيض و التطور، فلا اخلاقية ثابتة اطلاقها عندها، فان الاخلاق كسائر الكون ، تختلف حسب اختلاف و تقدم الإنسان؛ فالدعوة إلى الحيوانية في علاقة الجنسين بعضهما ببعض قد تكون مبدأ اخلاقيا عندما يرضاها المجتمع، رغم أنها قد تتنافى الاخلاق قبل زمن أو في جماعة آخرين.

و نظام تبني الدولة للاولاد الشرعيين و غير الشرعيين على السواء قد يكون نظاما اخلاقيا اذا اعتبره نظاما اجتماعيا. و رقّ الفرد في خدمة الاجتماع و الدولة اخلاقي اذا فرضه المجتمع ، فالماركسية كما لا تؤمن باله واحد مطلق، كذلك لا تؤمن بمبدأ الاخلاق الثابت المطلق، فالكون في الماركسية كله تبدّل و تناقض التطور. و على الماركسية ألا تؤمن بنظامها لانها أيضا من الكون المتطور ، فكيف تبني أساس حياتها على نفسها كأنها ثابتة معصومة لا تتغير!

و عليها - حسب مبدإ النقيض - ان الحكم بصحة و فساد مبدإ ما لزمن واحد، لانهما في اعتبارها اعتبارية متطورة ، و في نفس الوقت لانها لا تحيل اجتماع النقيضين.

٣- ان الفلسفة الماركسية، فوق أنها جملة من المتناقضات، انها دعوة إلى انتكاس الإنسان و ليس إلى تقدمها الا في الحيونات و الماديات. انها عود بالإنسان إلى الرق، و عود بالفكر و الايمان إلى الجبر ، و عود بالإنسانية إلى الوثنية ، و عود بالاخلاق و القيم إلى الانطلاق في الحيوانية.

ان البطن هو الوسيلة و الغاية معا في الماركسية و ليست غيرها .

اذا فالفكرة الماركسية رجعية خرافية تماما ، ترجع إلى القرون الاولى من عبادة الاوثان و أشر منها (عبادة الطواغيت) التي طغت على الله و ادعت الالوهية من دون الله، ثم تفعل كل عملية شريرة و تدعو إلى الاباحية المطلقة، حال ان الاوثان في قرونها لم تكن لتأمر بشيء او تنهي عن شيء، انما كانت تصد عن عبادة الله فقط، و لكن الطواغيت أشر و أطغى لانها تأمر و تنهي و لا تقف في عصيانها لله على حد. و فكرة الاله الواحد - المجرد عن حدود الزمان و المكان و المادة - هذه فكرة تقدمية تحملها أعقل الإنسان في التاريخ و هم الأنبياء عليهم السلام و هي تتفاعل مع العقل المتفاعل مع الواقع و ما تحتاجه الحياة الإنسانية تفاعلا تاما يرجع إلى صالح الإنسان.

الجولة الرابعة:

و من أجل ان الماركسية خرافة و بربرية، نرى الجولة الرابعة من جولات التفكير الاوروبي هي جولة الخصومة العنيفة للفكر الماركسي، قبيل بداية القرن العشرين و منذ بدايته حتى الآن. و خصوم هذا الفكر ما بين مؤيد للعقل و قيمته، او مؤكد لصحة الوحي و حاجة الإنسان إلى الايمان بالله. و ممن دخل في هذا الميدان الفيلسوف الدينماركي كيركجارد kierkegaard صاحب فلسفة «الصلة بين العلم و الايمان» و الفيلسوف الفرنسي «برجسون» زعيم المذهب الروحي في الفلسفة المعاصرة، و الفيلسوف الالماني «هيدجر» صاحب فلسفة الوجود الزماني و «شيلر» الفيلسوف الالماني في القرن العشرين، يعتبر في قمة هؤلاء الفلاسفة الذين كشفوا عن تهافت الماركسية خاصة، و فلسفته تقوم على الصلة بين الفكر الديني و الميتافيزيقي و العلمي، و بين الحياة الاجتماعية و العلمية و السياسية و الاقتصادية، كما تقوم أيضا على توضيح ان القيم الاخلاقية هي حقائق ثابتة.

الوان الفكر الفلسفية:

هنا نعود إلى البدء و نختصر الفكر الفلسفية في:

١- مثالية وهمية: سوفسطائية.

٢- مثالية عقلية: اصالة و سيادة العقل.

٣- دينية: اصالة و سيادة الدين.

٤- حسية: اصالة الحس و المادة.

و العقل الذي هو الحاكم بكل ذلك - مهما أصاب أو أخطأ - انه هنا يخطئ المثالية الوهمية كما بيناه سابقا، و يخطئ كذلك استقلال العقل و سيادته التامة، لما يرى من أخطائه الشخصية، ولا أقل من خطأ بعض العقلاء لولا الكل، و يخطئ اصالة المادة، اذ هي تنكر العقل كمبدأ أولي(انكار غير المحسوس) و هو كذلك غير محسوس فالعقل حفاظا على حده ينكر استقلاله نفسه، و حفاظا على كيانه ينكر أصالة المحسوس و لانه ذاته من غير المحسوس و يخطئ أصالة و سيادة الدين غير الالهى الدخيل المحرف، للمنافاة بين العقل و بعض المبادئ في الاديان غير الاسلامية ولانها خلاف المحسوس من الكون أحيانا.

وأخيرا يلجأ إلى تخصيص السيادة بشريعة القران كشريعة تؤيد العقل و تقدمه نحو الكمال و الحضارة، كما العقل يؤيدها تأييدا لما يستوحي منه هدايته إلى ما يخفى عليه، و إلى التقدم.

و الحس أيضا مع العقل و بحكم العقل و الفطرة ينادي بعدم لياقته للامامة و السيادة، لكثرة الاخطاء فيه أيضا كالعقل، و هو يحكم - لامحالة - بوجود اله وراء الحس و المحسوس.

والعلم - على تقدمه البارع - لا يرى بدا من الاعتقاد بوجود مبدأ أزلي عليم خلق هذه القوانين العلمية في الكون؛ فان شريعة القرآن تستخدم الفطرة و العقل و العلم و الحس، وكل ذلك حجة على امامتها و سيادتها المنحصرة بين الأئمه و السادة المزعومة؛ فهي لا تنكر شيئا من هذه ، انما تخطئها في أخطائها ، و تصدقها و تقدمها في نجاحها و صوابها ،و تعيّشها في مختلف الحياة !

تقسيم آخر للفكر الفلسفي :

نرى طوال التاريخ أفكارا متناقضة و مختلفة من الكون :

١- بين من لا يرى للكون واقعا و انما كله خيال :ك «سيرجيمس جينز» و هم المثاليون السوفسطانيون كما مضى .

٢- و من يرى له واقعا و ان أصله الموجود المجرد ورائه ، الازلي الابدي الذي لا شريك له ، و هم الموحدون .

٣- و من يحصر الكون في المادة دون أن يفكر فيما ورائها الا انه عدم و خيال و خرافة ، و هم الدهريون الماديون و الحسيون .

٤- و من يرى ان للكون الها وآلهة يمثلونه في تدبير العالم وكالة عنه و نيابة، و هم المشركون .

٥- و من يرى ان هناك الهين اثنين متكافحين: اله الخير و اله الشر .

٦- و من مثلث لأقانيم الاله على وحدتها ! «توحيد التثليث» و هم المثلثون المسيحيون و سواهم.

٧- و من قائل بوحدة حقيقية الوجود و كثرة الموجود، كالفحلويين من الفلاسفة، او وحدتهما كبعض الصوفية ، او الوحدة في الكثرة و الكثرة في الوحدة كجمع من العرفاء .

٨- و من موحد يجسمه تعالى كالمجسمة و بعض فرق النصارى.

٩- و من مشرك له في العبودية فقط موحد له في سائر شؤون الالوهية.

١٠- و من مشرك له في الأزلية دون سواها من شؤون الالوهية.

١١- و من منزه له عن كل شرك الا زيادة الصفات على الذات.

١٢- و من مشرك له في الخلق منزِّه اياه عن سواه من شؤون الالوهية و من ...[١]

و قد يصح القول ان الافكار الفلسفية بالنسبة للكون لا تحد و لا تحصر ، و نحن نبحث عنها في تقسيم اولي موجز كالتالي:

١-السوفسطائيين.

٢-الموحدين.

---

١. راجع كتابنا ((حوار)) : فصل التوحيد .

٣-المشركين.

٤-الماديين.

و قد بحثنا في نبذ من عقائد هؤلاء الاربعة سوى المشركين ، فإليكم بيان صنوف المشركين و نعني بهم غير الموحدين الحقيقيين:

آلهة المصريين:

كان عند المصريين آلهة عدة ، و يرجع تعدد الآلهة إلى الفترة التي سبقت وحدة شطري مصر، فقد انقسمت اذ ذاك إلى مقاطعات ، كل منها تنصرف إلى عبادة اله خاص، هكذا برزت عبادة الاله «سيت» المتمثل في الافعى و عبادة الاله «هوروس» المتمثل بالصقر.

و أحاط الملوك أنفسهم بهالة من القدسية؛ فتسموا خدام الاله «هوروس» و اعتبروا انصاف الآلهة، و فيما بعد اعتبر الفرعون نفسه الها و اشتهر في كل مدينة اله معين و منهم « فتاح» في منف و «توت» اله الفكر و «هاتو» اله السماء. ألّه المصريون كثيرا من الحيوانات . و هذا ناتج عن الخوف من القوى الكامنة فيها كالافعى في الصحراء و التمساح في النيل؛ فصفة الالوهية هي اذا للقوة المتمثلة في الحيوان و في النبات أحيانا - لا للحيوان او النبات بحد ذاته.

و كثيرا ما تتوصل مدينة إلى فرض الهها على سائر المدن، فانتشار عبادة الاله رهن سطوة عبادها و مدى نفوذهم.

لم يتردد المصريون في الاقتباس عن جيرانهم؛ فمثلا على ذلك عبادة الاله «رع» اله الشمس، و اسمه أيضا «أمون» ثم اقترن الاسمان فأضحى الاله «أمون - رع» و مع ثورة الفرعون «امنحوتب الرابع» أصبح اسم الاله الشمس «أتون» و اتخذ الفرعون لنفسه اسم «اختاتون» و لفظة «اتون» تحريف مصري لكلمة «ادون» السامية و معناها السيد و منها اشتق اسم «ادونيس» و ثورة «اختاتون» الدينية هزت بلاد الفراعنة من أقصاها إلى أقصاها؛ فقد انتهكت حرمة آلهة الاقدمين و فرضت الها واحدا دون سواه : هو الاله «أتون» أي الشمس - الا أن

هذه الصورة لم تدم طويلا - فمع موت « اختاتون» حصلت ردة فعل قوية و أعاد «توت عنج أمون» خليفة «امنحوتب» الرابع او «امينوفيس الرابع» الاعتبار إلى الآلهة القديمة .

آلهة بين النهرين :

قدس السومريون مظاهر الطبيعة و عناصرها ثم طووا معتقداتهم فعبدوا القوى الكامنة وراءها كحرارة الشمس في بلاد حارة كالعراق، ثم جعلوا الآلهة على صورة البشر، يتصفون بالقوة و الضعف، لهم الحسنات و فيهم السيئات.

و قد تعددت آلهتهم بتعدد المدن و الغلبة لاله المدينة القوية التي كنت تفرض الهها على سائر المدن و ما أكثرها في بلاد «سومر» و تنتهي الصدارة إلى إله المدينة المنتصرة ،لذلك جعلوا «مردوخ» - إله بابل عاصمتهم - في مقدمتها جميعا، و مرجع ذلك إلى نفوذ حمورابي؛ فنفوذ الاله اذا هو نفوذ الدولة. و مردوخ ابن «ايا» اله المياه الجوفية، و تختصر فيه صفات الآلهة جميعا؛ لانه خلصها من خطر أحدق بها، و تحلى بكل مزاياها فكانت له المرتبة الاولى.

حصر السومريون آلهتهم في مجموعتين : الثالوث الاول و يتألف من «آنو» اله الاسماء و «انليل» اله الارض و «ايا» اله المياه الجوفية ، فجمعوا بذلك بين عناصر الماء الثلاثة السائل و الهواء و الجماد. و الثالوث الثاني يتألف من «شمس» اله الشمس و «سين» اله القمر و «آد د» الذي يجمع كل عناصر الطبيعة.

آلهة الفرس :

تعبد الفرس الاله «اهورا مزدا» و عرفوا باسم «المزدية» و اقتبسوا من بلاد ما بين النهرين الاعتقاد بوجود «الارواح». ان المزدية عبدوا في البدء مظاهر الطبيعة، كالنار و النور و الارض و الهواء، و اهتموا بعنصري لنار و النور اهتماما خاصا ، و أضافوا إلى آلهتهم نترا - الهة لشمس - ثم انتقلوا إلى تثليث آخر مركب من «اهور مزدا » «اهرمان » «مترات».

آلهة الفينيقيين:

تسمى الآلهة بالفينيقية «ألونيم» مفردها «ايل» أي «اله»، و تسمى أيضا «بعاليم» مفردها «بعل» و أشهر آلهتهم كالتالي:

«ايل» يعني الاله و هو عندهم كبير الآلهة او الاله الاب «الداعون» عنوا به الها معينا لعله الاله «أدد» و هو من آلهة السومريين، و هذا الاله يختص بالجبال و العواصف و الصواعق، و كذلك بالمطر، العواصف المسينة و المطر النافع، و فيما بعد تكاثرت تسمية بعل مقرونة باسم المكان فقيل: بعل صور، و بعل ارواد، و بعل مرقند في بيت مري، كما عبدت البعلات فقيل: بعلة بيروت و بعلة جبيل أى عشتروت.

«عليان» و هو ابن الاله بعل، ورث عن أبيه كل صفاته، اهتم بالينابيع و المطر و الغلال، و أخيرا بالبحر و خلط بينه و بين أبيه.

«عناة» و هي شقيقة عليان محاربة تجمع صفات الالهة عشتار - الآشورية - عبدها المصريون باسم اتنا.

«موت» و هو الاله المحارب ابن بعل و شقيق عليان و ندّه في آن واحد معا، و لا مجال للقاء بين موت و عليان؛ فعندما يكون الاول في الجحيم يكون الآخر على وجه الارض و أصل هذه العقيدة ان الطبيعة عندما تزدهي في الربيع بفضل عليان يختفي موت، و هو الصيف المحرق؛ فيمثل هذا التنافس تعاقب فصول السنة و تأثيرها على الطبيعة.

«ملكارت» أي ملك المدينة، هو اله الشمس أصلا، و لما نشطت الحياة البحرية في صور لقب باله البحر أيضا.

«رشف» و معبده في جبيل، به يتمثل البرق و الضوء.

«اشمون»و هو اله صيدون، اله الصحة، انتقلت عبادته إلى بيروت، و تيمن به ملوك صيدون؛ فتمسوا باسمه.

«أدون» او «أدونيس الشاب» عبد في جبيل وفي افقا، به يتمثل الخصب و تجدد الطبيعة في الربيع.

«البعلات» عبدت بعض المدن الاهات و أشيرا زوجة «ايل» كانت أولاها، و عبدت بيروت «بعلة» لكن عشتروت بعلة جبيل و الهة الخصب و الجمال بزّتها جميعا؛ فأقيم لها معبد في جبيل و ضاع صيتها في كل فينيقيا و المستعمرات.

آلهة الاغريق = اليونان

ميزت الميتولوجيا الاغريقية بين الآلهة و الابطال و جعلتهم على مراتب:

فثمة آلهة الاولمب هو أعلى جبال اليونان و بالتالي عرش «زفس» ملك الآلهة، و قد اقتسم «زفس» العالم مع اخوته، فكانت السماء من نصيبه و البحار من نصيب أخيه «بوسيدون» و باطن الارض من نصيب «هيديز» و إليكم أسماء البعض من آلهتهم:

١. آلهة الاولمب :

آلهة الاولمب - و على رأسهم زفس، اله السماء و الرعد و الصواعق و العواصف - تلازمه على الاولمب عائلته المؤلفة من زوجته و أبنائه الثلاثة و بناته الثلاث.

١- «هيرا» زوجة زفس الشرعية و شقيقته صعبة المراس، و لكنها مثال ربة العائلة.

٢- «اثينا» ابنة زفس ولدت من رأسه مدججة بالسلاح، الهة الحكمة و الحرب و الذكاء و شقيقة مدينة اثينا.

٣- «ارتميس» و تمثل بالقمر؛ لانها الهة النور الليلي الهة الصيد و الغابات، لم يترك لها شغفها بالحيوانات مجالا لحب الرجال.

٤- «ابولون» ابن زفس و اله الشمس و الموسيقى و الشعر، سهام قوسه لا تخطيء.

٥- «هرمس» اله المسافرين و التجار، رسول زفس و سيد الرياضيين ولدت له «أفروديت» ولدا خنثى سماه «هرما فروديت».

٦- «اريس» اله الحرب و عشيق افروديت.

٧- «افروديت» الهة الحب و الجمال - خلقت من زبد البحر - زواجها غير موفق؛ فتصرفت حسب أهوائها.

٨- «هيفايستوس» ابن زفس- ألقى به أبوه من أعلى جبل الاولمب في احدي ساعات غضبه؛ فأضحى أعرج. اله الحدادين و زوج غير كفؤ لافروديت.

ب- آلهة البحر و على رأسهم «بوسيدون» شقيق تنفتح أمامه أبواب البحار . عربته وخيله البيضاء تثير زبد البحر ، يعصف في الاصداف فيدوي صوت المرج.

ج- آلهة الارض وجوفها:

١- «هيديز» شقيق زفس يحكم على جوف الارض و عالم الاموات.

٢- «ديمتر» شقيقة زفس والهة الزرع و الثمار.

فيها تتمثل الارض الام.

٣- «ديونيسوس» الهة الخمر ، قبل في الاولمب في آخر أيامه . تحتفل النساء في عيده بالسكر و النشوة .

فآلهة اليونان صورة مكبرة عن الإنسان في شعورهم او في حاجاتهم، فهم يحبون او يحقدون او يتألمون، و ليسوا كآلهة الشرق (مصر و ما بين النهرين) عالمين بكل شيء و قادرين على كل شيء و لكنهم يمتازون عن البشر بكونهم خالدين، و حياتهم مآدب متواصلة من الكوثر و الشهد و أجسادهم هي المثال الاعلى في الجمال. و الملاحظ ان الاغريق ابتعدوا عن تأليه الحيوانات و أخضعوا آلهتهم لنظام البشر؛ فجعلوهم على مراتب برأسهم زفس، عاجزين عن تبديل مصير البشر، بل هم أنفسهم مسيّرون حسب حتمية تستبد بهم و من هنا التفاوت في مراتب الالوهية و القداسة بين آلهة الشرق و آلهة الاغريق و هو تفاوت عائد لذهنية الشعبين قبل كل شيء.

آلهة العرب :

قامت الوثنية في العرب على فكرة عبادة مظاهر الطبيعة و كانت بعض كبريات القبائل تعبد أصناما معينة عرفت بالأصنام الخاصة و زاد عددها على الثلاثمائة أهمها:

ود - سواع - يعوق - يغوث - هبل - بعل - جهار.

أما الاصنام العامة التي تشترك في تقديسها معظم القبائل فكانت : اللات - و العزي - و مناة - و الاولى عبارة عن صخرة مربعة في الطائف ترمز إلى فصل الصيف، بينما كانت الثانية عبارة عن ثلاث شجرات في وادي نخلة ترمز إلى الخصب، اما مناة فهي أقدم الاصنام عند العرب و هي عبارة عن حجر أسود أقيم له معبود خاص على الطريق بين مكة و يثرب و هي ترمز إلى الموت و القضاء و القدر.

آلهة الهنود :

في البدء عبد الهنود قوى الطبيعة و عناصرها كالسماء و الارض و الشمس و النار و الرياح و الماء و قد شخصوا هذه العناصر فجعلوا السماء أبا « فارونا» و الارض أما «بريتيفي» و لبث النار و هي الاله «اغني» لمدة طويلة أهم الآلهة القديمة في الهند.

و كذلك عبدوا الحيوانات و من أهمها ألوهية البقرة و حتى الآن يعبدونها و يقدسونها.

أضواء على عبادة الاوثان في اسبابها:

١- خوف البشر من القوى المكنونة في الطبيعة و رجائه لرحماتها و نعمها، و هذا الخوف و الرجاء، اضافة إلى الجهل بحقيقة هذه القوى و مبدنها، كان يدفع البشر إلى الخضوع لمظاهر الطبيعة بما فيها من القوى الكامنة.

و هذه ثنوية تظهر في مختلف الاوثان الخيرة و الشريرة، الممثلة لهذه القوات المرموزة كالسماء و الارض و البحر. او المتمثلة بهيا كل كانوا ينحتونها فيعبدونها رمزا لعبادتهم لتلك القوى الكامنة في مختلف مجالات الطبيعة. ثم

تقدمت هذه الفكرة ان اعتقدوا في اله واحد هو اله الآلهة، و انما هذه الاوثان تماثيل لشركاء هذا الاله.

من القوات الكامنة في الطبيعة و هم بين:

١- من أشرك الاوثان بالله في الخالقية والرزق.

٢- و من أشركها به في العبادة.

ثم تقدمت هذه أيضا ان اعتقدوا في اله واحد بيده ناصية كل شيء دون ان يكون له ولي من الذل او شريك في الملك او ند او ضد او معين في أي من شؤون الالوهية وحده لاشريك له.

و من دوافع الشرك بالله طبيعة التحلل عن القوانين الالهية، و لذلك كانوا يعبدون مالايأمرهم ولاينهاهم و هم بعد ذلك متدينون عابدون كمن يعبد الله، و الفرق تحلل المشركين عن عبء التكاليف الالهية، و إنما كانت عبادتهم لاصنامهم حسب ما كانوا يشتهون؛ فالاوثان كانت لعبة بأيديهم يفعلون بها ما يشاؤون.

و الفلسفة التقدمية في فكرة الإله الواحد انما هي من رجالات الوحي الذين كانوا يواصلون في الدعوة إلى عبادة الله و التجنب عن عبادة و تأليه غيره، سواء الطبيعة او البعض من مظاهرها.

و الفلسفة المادية التي تدعو إلى أصالة المادة هى أردء الفلسفات؛ اذ تعمم الالوهية لكل الطاقات المادية، و تخلف ويلات مختلف ألوان الوثنيات، و تأليه المادة بصورة شاملة هو مرحلة الكمال لهذه الفلسفة.

و الفلسفة الوثنية متقدمة على المادية في تخصيصها الالوهية بالبعض من قوى الطبيعة أو تشريكها إياها بالله الذي تعتبره إله الآلهة.

و الفلسفة الدينية الصحيحة متقدمة على كافظ الفلسفات بشأن التعرف إلى إله الكون؛ اذ ان هذه الفكرة تتفاعل مع الكون أجمع، سواء في ذلك فطرة الإنسان و عقليته، أم سائر الكون؛ فباستطاعة الموحد أن يجند الكون بكافة مجالاته في اثبات فكرة الاله.

فكل تأخر في فلسفة الكون نجده من الخرافات و الاساطير التي اختلقه البشر غير المرتبط بالوحي تماما، من داخل ذاته: وحي العقل و الفطرة، و من خارج ذاته: وحي الله تعالى.

و قد نجد فلسفات مزيجة من وحة الإنسان المتأخر، و من وحي الرحمان: كالتثنية و التثليث في ذات الله؛ فان الزائد على الاله الواحد ليس الا من وحي الشيطان «كإله البشر» و كأقنوم الإبن و روح القدس؛ فكل الانحرافات الجارفة في توحيد الاله الحقيقي، نجد كلها من الاختلافات الوثنية و كما يشير إليه القرآن«ذلك» (٣٠.٩).

الوثنيات في مختلف الوانها:

١-التثليث

نجد كثيرا من النصارى يعتقدون في إله مثلث الأقانيم، و قد يعبرون عنه بتوحيد التثليث جمعا بين المتناقضين، رغم أن الديانات الإلهية بعيدة تماما عن التثليث؛ فلا نجد نبيا يدعو إلى أكثر من إله واحد، أو يدعو إلى نفسه كإله أو جزء من الكيان الالهي!

رغم ذلك نرى كثيراً من النصارى يعتقدون في الثالوث الإلهي و ليس هذا الآ من الذين كفروا من قبل على حد تعبير القرآن الكريم:

الثالوث في الوثنيات العتيقة:

نجد الثالوث في مختلف ألوانه و أسمائه و سماته طوال القرون الوثنية كالتالي:

١- الثالوث البرهمي: «برهما - فشنو - سيفا»
٢- الثالوث البوظي : «فو» «بوظا» اله واحد مثلث الاقانيم.
٣- الثالوث اصيني: إن أصل كل شئ واحد، و هو خلق ثانيا، ثم انبثق من ثالث، و من الثلاثة كل شي.
٤- الثالوث الهندي.

٥-الثالوث المصري: إن الأول خلق الثاني، و هما خلقا الثالث، و هم خلقوا العالم.

٦-الثالوث اليوناني.

٧-الثالوث الفارسي : و هم اورمزد - مترات - أهرمان.

٨-الثالوث الفنلندي: اسمه «تريكلاف» وجد له تمثال فى هوتونجر برج له ثلاثة رووس على جسد واحد.

٩- الثالوث الاسكندنافي: «أودين - تورا - فري»

١٠-الثالوث الدردي و السيبري: «تولاك - فان - مولا»

١١- الثالوث الاقيانوسي.

١٢-الثالوث المكسيكي: اسمه «تزكتليبوكا» و معه اقنومان «هوتزليبوشتكي» و «تلالوكا».

١٣- الثالوث الهندوس: «بزونا - باكاب - ايكيهيا» و يعتقدون صنما آخر اسمه «تنكاتنكا» و يقولون عن الثاني ايضا انه ثلاثة أقانيم اله واحد.[1]

..لقد نرى كفاحا عاقلا علميا من رجالات الوحي، طوال القرون الرسالية بشأن تزييف عقيدة التثنية[2] و التثليث و ما إليها من الخرافات في فكري الاله، و لولا هذه الدعوات المقدسة اصامدة لظلت البشرية منحرفة عن عقيدة التوحيد تماما.

---

١. راجع كتابنا((حوار و عقائدنا)) تجد فيهما تفصيل البحث حول الثالوث عقليا و نقليا.

٢. راجع((حوار)) باب التوحيد.

المادية و اسسها

...هنا نقف وقفة حاسمة مبرهنة مع الماديين الذين شملت دماياتهم ارجاء المعمورة، فقد نرى بعض الحسيين يدعون أن لهم براهين ألا اله للكون، ثم لا نجد لهم اي برهان على ما يدعون، الا شكوكا و شبهات و استبعادات لا تعارض البراهين القاطعة الساطعة على وجود الله؛ فنسبة الشك في شئ و اليقين به نسبة اللاإقتضاء إلى الإقتضاء. و لا تنافي بينهما. و الفرق هو القصور في وجدان شئ و البلوغ إليه، و نحن الإلهيين باستطاعتنا أن نخرجهم من ظلمات الشك إلى نور اليقين.

و يقول القرآن: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٢٤.٤٥).

كما و يقر بذلك العلماء و منهم العالم الفسيولوجي اندرو كونو اي ايفي[١] فى مقال له: (قد ينكر منكر وجود الله و لكنه لا يستطيع أن يؤكد إنكاره بدليل، و أحيانا يشك الإنسان في وجود شئ من الأشياء و لابد في هذه الحالة أن يستند شكه إلى أساس فكري و لكنني لم أسمع و لم أقرأ في حياتي دليلاً عقلياً واحداً على عدم وجوده تعالى، و قد قرأت و سمعت في الوقت ذاته أدلة كثيرة على وجوده، كما لمست بنفسي بعض ما يتركه الإيمان من حلاوة في نفوس المؤمنين و ما يخلفه الإلحاد من مرارة في نفوس الملحدين).

و نحن نستعرض كافة براهينهم -ما قالوه و ما يمكن أن يقالوه - في إنكار وجود الله؛ لكي نرى عقليتهم الفلسفة و نبرهن أنهم لا يأتون بشئ متين.

حوار فلسفي مع الحسيين: الماديين -الشيوعيين - الماركسيين:

---

١. من العلماء الطبيعيين ذوي الشهرة العالمية من سنة ١٩٢٥-١٩٤٦- رئيس قسم الدراسات الفسيولوجية و الصيدلية بجامعة نورث و سترن- استاذ في كلية الطب و وكيل الكلية في جامعة نينوا - استاذ الفسيولوجيا و رئيس قسم العلوم الاكلينيكية بكلية الطب بجامعة شيكاغو.

في الفكر الفلسفي:

١-الحسيون: دعاياتهم ضد الدين:

يقول البيان الشيوعي : «ان الدستور و الاخلاق و الدين كلها خدعة البورجوازية و هي تسير وراءها من اجل مطامعها» (communistment (festo

اقول : ان الدستور و الاخلاق و هي من الدين نفسه، لو عني بهما المعنى الصحيح، لكان الواقع التاريخي من هكذا دين مكذبا لهذه الدعاية الشيوعية؛ اذ ان من اهم اهداف رجالات الوحي، محاربة الظالمين و الحفاظ على حقوق المظلومين و احقاء الحق عقائديا و اقتصاديا.

و لذلك نرى ان الاكثرية الساحقة ممن كانوا يعارضون النبيين، و الذين كانوا و لا يزالون حجر عثرة في سبيلهم، انما هم الاغنياء المترفون و الاقوياء الاغبياء الذين توغلوا في الشهوات المردية، و الظالمون الذين كانوا يستبعدون الناس..كأمثال فرعون و نمرود و هامان و قارون و احزابهم من الطغام اللئام، و لقد كانت الصراع متواصلة بين رجالات الوحي و الطبقة العليا البورجوازية المسيطاة على الشعوب بالسيف و النار، كما و يدلنا على ذلك كتب الوحي و الالهام الخالصة من الدس و الاقحام.

أجل لو عني بالدين الانظمة البورجوازية و القوانين التي تبرر سلطان الزور و الغرور من الطبقة العليا، لكان هذا البيان حقا لا مرية فيه، الا ان البيان الشيوعي لا يعني من الدين البورجوازي فحسب، انما اعم منه و من الاديان الالهية كما و يصرحون بذلك ليل نهار:

يقول لينين في خطاب ألقاه في المؤتمر الثالث لمنظمة الشباب الشيوعي في اكتوبر ١٩٢٠:

«اننا لا نؤمن بالاله، و نحن كل المعرفة ان ارباب الكنيسة و الاقطاعيين و البورجوازيين لا يخاطبوننا باسم الاله الا استغلالا و محافظة على مصالحهم، اننا ننكره بشدة جميع هذه الاسس الاخلاقية التي صدرت عن طاقات وراء

الطبيعة غير الإنسان، و التى لا تتفق مع افكارنا الطبقية و نؤكد ان كل هذا مكر و خداع، و هو ستار على عقول الفلاحين و العمال لصالح الاستعمار و الاقطاع، و نعلن ان نظامنا لا يتبع الا ثمرة النضال البروليتاري، فمبدأ جميع نظمنا الاخلاقية هو الحفاظ على الجهود الطبقة البروليتارية».[١]

يقول فيلسوف الشيوعية انجلز: «ان كل القيم الاخلاقية في تحليلها الاخير من خلق الظروف الاقتصادية، فالتاريخ الإنساني هو تاريخ حروب الطبقات التى امتص فيها البورجوازيون دماء الفقراء، و قد كانت الغاية من وضع الدين و الاسس الاخلاقية حماية حقوق البورجوازيون».

اقول: و من درس الاديان الالهية حقها يعلم بيقين ان هذه دعاية زور و غرور، و ان الواقع من تاريخ الاديان يناقض و يعارض هذه الدعايات تماما.

٢- و **يقولون: انما الدين مخلوق جهل الإنسان بعوامل الطبيعة**؛ فادا اكتشف العلم علل و اسباب التطورات الطبيعة زال الدين بموجباته الوهمية الخرافية.

و يقولون: ان القضايا الدينية وجدت لاسباب تاريخية احاطت بالإنسان، فلم يكن في استطاعته ان يفلت من السيول و الاعاصير و الطوفانات و الزلازل و الامراض؛ فأوجد قوى فرضية يستغيثها لتنقذه من النوازل و هكذا ظهرت الحاجة إلى شئ يجتمع الناس حوله و لا يتفرقون و استغل اسم «الاله» الذي تفوق قوته قوة الإنسان و يهرع الجميع إلى رضاه.

يقول محرر دائرة المعارف الاجتماعية تحت اسم الدين: و بجانب المؤثرات الاخرى التي ساعدت في خلق الدين؛ فان اسهام الاحوال السياسية و المدنية عظيم جدا في هذا المجال، ان الاسماء الالهية و صفاتها خرجت من الاحوال التي كانت تسود على ظهر الارض. فعقيدة كون الاله «الملك الاكبر». صورة اخرى للملكية الإنسانية، كذلك الملكية السماوية صورة طبق الاصل للملكية الارضية، فأصبح الاله يحمل هذه الصفات الذي يجازي الإنسان على الخير و

LENIN setected Moseow. ١٩٩٧ Vol –P٦٦١.١

الشر من اعماله. لقد خلق العقل الإنساني الدين، و أتم خلقه في حالة جهل الإنسان و عجزه عن مواجهة القوى الخارجية.

و يقول جوليان هكسلي : فالدين نتيجة لتعامل خاص بين الإنسان و بيئته.. ان هذه البيئة قد فات اوانها او كاد... و قد كانت هي المسؤولة عن هذا التعامل فاما بعد فناء و انتهاء التعامل معها فلا داعي للدين.. لقد انتهت العقيدة الالهية إلى آخر نقطة تفيدنا، و هي لا تستطيع ان تقبل اية تطورات، لقد اخترع الإنسان قوة ما وراء الطبيعة لتحمل عبء الدين، جاء بالسحر ثم بالعمليات الروحية ثم بالعقيدة الالهية حتى اخترع فكرة « الاله الواحد» و قد وصل الدين بهذه التطورات إلى آخر مراحل حياته. ولا شك ان هذه العقائد كانت في وقت ما جزءا مفيدا من حضارتنا، بيد ان هذه الاجزاء قد فقدت اليوم ضرورتها و مدى افادتها للمجتمع الحاضر المتطور.

اقول: ان الواقع الخارجي و التاريخي يناقض و يكذب هذه الدعاية حين تعني من الدين عقيدة الاله.

اذ ان في القرون الاولى إلى الوسطى و حتى الآن لم تزل البشرية كانت تعكف على اصنام و اوثان و طواغيت تحسبها آلهة تضر و تنفع. كل ذلك لجهل البشر بالاله المجرد عن المادة فجهل الإنسان و اتجاهه إلى مادة العالم، و الدوافع الشهوانية، كل ذلك كانت تمنعه عن الاعتقاد في اله واحد مجرد عن المادة. ثم نرى الأنبياء [عليهم السلام] و معهم الفلاسفة و بصيغة اخرى نرى كافة العقليين في توجيهات متواصلة حسب البراهين العقلية المتأيدة بالحس و العلم، يوجهون هؤلاء الجهال إلى الله الواحد القهار، تلك العقيدة المتفاعلة مع العقل و العلوم التجريبية و سواها. و تتفاعل مع واقع الكون و واقع الحياة تماما.

فلو ان اكتشاف علل الحوادث الطبيعية يقدر ان يقضي على الالهة المتخيلة انها العلل المرموزة، فهل ان باستطاعته كذلك ان يقضي على علة العلل التي لابد منها عقليا في المعلومات - و الكون كله معلولات - تطورات و تبديلات؟ ان تقدم العلم إنما يقضي على تعدد الالهة و الطاقات المستقلة الكامنة في الكون و من ناحية

اخرى يؤيد فكرة الاله التي هي في صيغة أخرى فكرة: ان لكل معلول علة؛ فلابد للكون من علة هي علة العلل و المعاليل؛ لان الكون في تطور دائم؛ فكلما تقدم العلم تأخر تأليه الاصنام و سائر طاقات الطبيعة و تقدم تأليه من ليس كمثله شئ و هو اللطيف الخبير كما و تصدقنا العلوم التجريبية.[١]

الحسيون قد خيل إليهم أن فكرة الاله تعني ان الاله هو العلة الوحيدة لمعاليل الكون دون ان تكون هناك علل اخرى مهما كانت هي ايضا معلولة للاله.

يقول هكسلي: «اذا كانت الحوادث تصدر عن قوانين طبيعة فلا ينبغي ان ننسبها إلى اسباب فوق الطبيعة».

هذا، ولكن فكرة الاله وراء الطبيعة تعني انه علة الكون اجمع في حدوثه و في القوانين الكامنة الحاكمة فيه، و في كافة تطوراته، و لا نعني من علية الاله بطلان العلية في قوانين الكون، انما علة اصل و علة فرع و الثانية معلولة للاولى. فبيده تعالى ناصية كل شئ و هو الخالق للعلل و معلولاتها دون ان تغلب الطاقات الكونية على القدرة الالهية.[٢] اذا فهذا خطأ من القول و جهل : ان اكتشاف علل الحوادث - المادية - تغنينا عن فكرة الاله، اذ لا تعني فكرة الاله ان لكل العلل آلهة او اله واحد، و انما علة العلل الذي هو قبل العلل و معها و بعدها دون ان تستغني هذه العلل الحادثة عن العلة الاولية الازلية كما حققناه في (حوار).

اجل، ان التعرف إلى العلل الكونية تغنينا عن تأليه هذه العلل و عن اعتبار انها علل غيبية، اذا فتقدم العلم انما يقضي على تعدد الآلهة في حين انه يؤكد في وجود علة اولى وراء المادة، خلاف ما يعينه و يزعمه الماديون من تقدم العلم؛ فهناك تفسيران لاهوتيان للاحداث: لاهوتي اول يعني فكرة الاله الواحد علة العلل الكونية، و لاهوتية، انما مادية كمعلولاتها.

و اما ان يفضح التفسير الاول - فلا - اذ ان العلم لم يكشف النقاب عن وجه العلة الاولى و انها مادة لكي يقضي على هذا التفسير اللاهوتي ايضا.

---

١. راجع كتابنا ((حوار بين الالهيين و الماديين)).
٢.راجع كتابنا (حوار) باب العلية.

فبالرغم من ان العلوم التجريبية لاتجعل العلة الولى محسوسة للإنسان ولن تجعل، لكنها لا تنفي هذه العلة بل و تتأكد منها اعتبارا بأن العالم كله معلول، و ان القوانين الطبيعة لابد لها من مقنن؛ اذا فتقسيم الفكر الفلسفي إلى المرحلة اللاهوتية و الميتافيزيقية و الوضعية، اعتبارا ان الاخيرة هي المتقدمة، و الاولى و الثانية هما المتأخرتان حسب تأخر العلم في القرون الاولى، هذا التفسير غالط.

يقول الفيلسوف الفرنسي «اوجست كونت» ق ١٩- ان تاريخ تطور الفكر الإنساني ينقسم إلى مراحل ثلاث:

١- المرحلة اللاهوتية- و هي التي فسرت الاحداث فيها باسم الاله.

٢- المرحلة الميتافيزيقية و فيها فسر الإنسان الاحداث باسم عناصر خارجية لا يعلمها و لكنه لايذكر اسم الاله.

٣- المرحلة الوضعية و فيها اخذ الإنسان يفسر الاحداث باعتبارها عناصر خاضعة لقوانين عامة يمكن ادراكها بالمطالعة او بالمشاهدة العلمية، و في هذه المرحلة لاتذكر (الارواح و الالهة و القوى المطلقة).

ثم يقول : و نحن بناء على هذا نعيش في المرحلة الثالثة التي تسمي في الفلسفي الحديثة بالوضعية المنطقية او التجريبية العلمية و نجد على ظهر هذه الفكرة امثال «هيوم» و «ميل» و «برتراند رسل» و احزابهم.

اقول: ان المرحلة التي يعبر عنها باللاهوتية اعتبارا ان الاحداث فيها كانت من قوى مجهولة مجردة عن المادة هم الالهة. أقول ان هذه المرحلة ليست لاهوتية- انما خرافية شركية. كانت البشرية تزعم ان هذه الطاقات المجهولة آلهة، سواء أكانت طاقات مادية ام سواها؛ فقد عاشت البشرية زمنا و حتى الان، كانت تزعم فيها ان هناك في الكون طاقات هي الآلهة سواء أكانت مادية أم روحانية، معلومة او مجهولة، يعم هذا الدور المرحلة اللاهوتية على حد تفسيرهم، و المرحلة الميتافيزيقية و الوضعية المنطقية، و كل هذه الادوار الثلاثة تحول حول تدليه غير الاله الواحد.

و في خلال هذه الادوار نجد دور رجالات الوحي و سائر الالهيين الذين كانوا و لايزالون يفسرون علل الحوادث بكلتا العلتين، المادية و اللاهوتية. العلل المادية و القوانين المحكمة على الكون، و العلة اللاهوتية الخالقة لكل الحوادث و عللها.

و هذه هي الفكرة المتقدمة المتكاملة المتفاعلة مع الواقع، لا الوضعية المنطقية، لانها كانت من بداية ولادة الإنسان حتى الان، ان البشر كان لا يعتقد في فكرة الاله. و كان يؤله المادة إما في أصلها أو في طاقاتها. و هذه نتيجة ركود العقل و جموده على المدركات الحسية. و عجيب من هؤلاء الذين يعتبرون أنفسهم فلاسفة ثم يعتبرون الجهل بعلل الحوادث من دوافع فكرة الاله، رغم أنه من دوافع فكرة الشرك بالله او تأليه هذه العلل المادية! ثم لانجد دافعا لفكرة الاله المجرد عن المادة الا العقل المجرد الخالص عن شوائب الاوهام، المتقدم في التعقل و التفاعل مع الواقع كما و سوف نبرهن عند البحث عن ادلة وجود الله..

ان العلوم التجريبية - على حد وظائفها - لا تفسر لنا الا المادة في عللها و معاليلها المادية. و اما ان تفسر ما الذي وراء المادة؟ أ هو ايضا مادة أم ليس به؟ ليس هذا من شؤون العلوم التجريبية، رغم انها بصورة مستطردة تؤيد فكرة الاله. لاننكر ان هناك عللا مادية كشف عنها العلم - ما كان البشر ليعلم انها علل - سواء أكان يظنها الالهة دون علة هي مخلوقة بارادته، او يظنها عللا لاهوتية: «آلهة».. و قد قضى العلم على العلل اللاهوتية - و على اختصاص العلية - بدء ختم - بالله.

ألا إن الدين الالهي الصحيح يصرح هكذا: إن الله تعالى هو علة العلل، و قد خلق عللا طبيعية هي تعمل باذنه و ارادته دون ان تكون هناك منافاة بين علية الاله و علية العلل الطبيعية المخلوقة بارادة الاله...كعلل طولية مندفعة من علة العلل اندفاعا اراديا أم طبيعيا.

يقول البروفسور سيسيل بايس هامان، و هو استاذ امريكي في البيولوجيا: «كانت العملية المدهشة في صيرورة الغذاء جزء من البدن تنسب من قبل إلى الاله فأصبحت اليوم بالمشاهدة الجديدة تفاعلا كيماويا، هل أبطل هذا وجود

الاله؟ فما هي القوة التي اخضعت العناصر الكيماوية، لتصبح تفاعلا مفيدا؟ و من المستحيل ان يتحقق وجود هذا النظام المدهش، باتفاق محض، فقد صار حتما علينا بعد هذه المشاهدات ان نؤمن بأن الله يعمل بقوانينه العظمى التي خلق بها الحياة».

هذا، و كما كان الإنسان القديم يزعم ان السماء تمطر فيقدس السماء انها اله، لكننا اليوم نعرف انه من عملية تبخر الماء في البحر حتى نزول قطرات الماء على الارض، و كل هذه المشاهدات صور للواقع، و ليست في ذاتها تفسيرا لها؛ فالعلم لايكشف لنا كيف صارت هذه الوقائع قوانين؟ و كيف قامت بين الارض و السماء على هذه الصورة المفيدة المدهشة حتى ان العلماء يستنبطون منها قوانين علمية.

و الحقيقة ان ادعاء الإنسان بعد كشفه لنظام الطبيعة: انه قد كشف تفسير الكون، ليس هذا الادعاء سوى خدعة لنفسه، فانه قد وضع بهذا الادعاء حلقة من وسط السلسلة مكان الحلقة الاخيرة؛ فكل اكتشافة جديدة للقوانين الحاكمة على الكون، تعتبر تقدما جديدا للتعرف إلى اله الكون الذي قنن هذه القوانين البارعة في الكون. و كما أنّ كل تأخر في العلم بهذه القوانين يؤخر الإنسان عن فكرة الاله.

ولذلك نرى القرآن يأمرنا بالنظر في الكون ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠ ـ ١٠١)

اعتبارا ان العلم من خدام فكرة الاله لا من معارضيها، الا اذا قورن بالعنادات و الشهوات و سائر دوافع الالحاد،﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠ـ ١٠١)

٣ـمن خلق الله؟

هذه شبهة ثالثة في وجود الله، تعلق بأذهان الكثيرين:

يقول «جون ستيوارت ميل» في سيرة حياته: ان أباه قد علمه أن سؤال (من خلقني) لا يكفي لاثبات وجود الاله، اذ ينجم تلقائيا سؤال (فمن ذا الذي خلق الله)؟ و قد اعتقد «برتراند رسل» هذا الاعتراض الثاني كافيا لرفض مدلول السؤال الاول!

اقول: ولكن ليعلم السائلون ان (من خلقه ..)؟ انما يصح في المخلوق دون الخالق الازلي الذي ليس بمخلوق، و لذلك ترى الماديين القائلين بأزلية المادة الاولية و حدوث التطورات لا يقفون في هكذا سؤال عن المادة الا ان يقولوا: ليست المادة الاولية مخلوقة حتى يسأل عن خالقها.[1]

فهناك في الكون أزلية، سواء في المادة الاولية او الاله المجرد عن المادة، فكما ان سؤال(من خلقه...)؟ لا يرفض مدلوله في المادة الاولية : (ليس للمادة الاولية خالق اذ ليست مخلوقة) في ظن الماديين، كذلك - و بالاخرى - لا يرفض مدلوله (ليس للاله خالق لانه ليس بمخلوق) في نظر الالهيين.

و مما لا يريبه شك انه لايمكن انكار ازلية ما في الكون - اذ ان انكارها يستلزم انكار الكون المتطور الحادث اطلاقا - فكيف يقول برتراند رسل: ان مدلول السؤال (من خلقني) لا يكفي لاثبات وجود الله... في حين انه (في زعم الماديين) يكفي في اثبات خالقية و أزلية المادة الاولية.

٣- هل المادة اله نفسها - الهها من داخلها:

بعد ان اكتشف نيوتن فكرة: أن الكون مرتبط بقوانين ثابتة تتحرك في نطاقها الأجرام السماوية، خلقت هذه الفكرة ظرفا لانكار الإله؛ اذ خيل إلى اصحاب هذه الفكرة كأن هذه القوانين الكامنة في المادة - المتحكمة عليها - قد تنوب الاله الذي اختلقه جهل الإنسان بهذه القوانين على حد زعمهم ، فكان يفسر لها تفسيرا لاهوتيا، فلم يبق - في زعمهم - رمق للاله الا القول: انه هو المحرك الاول للكون.

١.راجع كتابنا ((حوار)) ص ٧٧ و ((المناظرات)).

ضرب والتير مثلا في هذا الصدد: أن الكون كالساعة يرتب صانعها آلاتها الدقيقة في هيئة خاصة و يحركها ثم تنقطع صلته بها.

ثم جاء «هيوم» فتخلص من هذا الاله الميت يضا و على حد قوله : (لقد رأينا الساعات و هي تصنع في المصانع و لكننا لم نر الكون وهو يصنع فكيف نسلم بأن له صانعا).

و قال هكسلي: (اذا كانت الحوادث تصدر عن قوانين طبيعة فلا ينبغي ان ننسبها إلى اسباب فوق الطبيعة) .

هذه هي الشبهة الرابعة في انكار الاله ، و لكن نسأل «هيوم» هل ان معلومات الإنسان محصورة فيما يراه اذا فلينكر عقله و عقول العقلاء ، لينكر علمه و فكره ، و لينكر القوة الجاذبية العمومية ، فهل باستطاعته ان ينكر كل ذلك ، أم يستدل بآثارها عليها ، فليستدل - كذلك - بالكون ، بما يحكم عليه من قوانين ، على ان هناك الها ، لان الكون كله آثار و حوادث.[1]

و قد بحثنا في الجواب عن الشبهة الثانية حول عدم منافاة الكشف عن علل الحوادث مع التأكد من وجود علة العلل . و سوف نفصل البحث عنها عند سرد البراهين على وجود الخالق.

يقول الماديون: (الاله الذي اكتشفه العلم في جوهر ذات المادة يغنينا عن اله اجنبي خارج نطاق المادة ، فالاله الداخلي هو القوانين الحاكمة على المادة من داخل ذاتها).

و لكن يبقى عليهم أن يبرهنوا لانحصار القوات الحاكمة على المادة بما في ذواتها من طاقات، حال أن المادة بطاقاتها و حركاتها الدائمة و تغيراتها و تركباتها و الزمان الملازم لها، تصرخ من كل هذه الاذاعات الاربعة ليل نهار انها بحاجة ذاتية ضرورية إلى ما ليس مادة، هذه جغرافية المادة المحكومة بها

---

١. راجع كتابنا ((حوار)) بحث الازلية و الحدوث .

بالحدوث الذاتي، كما و سوف يأتيكم تفصيل البحث عن براهين حدوث المادة من قريب.[١]

٥- شبهة التجرد :

يقول الماديون: «ان القول بتجرد الاله الخالق يبرر القول انه لا اله و محال ان يكون»!؛ فهم اذا لا يكتفون بالشك في وجود الاله، بل و يحيلون وجوده المجرد قائلين:

١-المجرد عن المادة هو المجرد عن الوجود و كيف يمكن تأليه المعدوم حال اننا لا نسمح بتأليه الكثير من الموجودات و ان كانت عاقلة كالإنسان فكيف بالمعدوم! أي فريق بين المعدوم و الموجود المجرد، مع اشتراكهما في التجرد عن المادة ؟ فكما الاله (في زعم الالهيين) مجرد عن المادة ، كذلك المعدوم ، و كذلك المستحيل الوجود. اذا فاعطاء الخالقية للاله المجرد ليس الا اعطاءها للمعدوم أو للمستحيل الوجود، و هذا محال في محال ، و اية خرافة في الفكر اعجب من هكذا خرافة.

اقول: ولكن هذا كله يدور مدار حصر الوجود في المادي لا سواه، حتى اذا لم نجد ذاتيات المادة و صفاتها في شيء سمح لنا ان ننفي عنه الوجود ، رغم انه لا يسمح الا نفي قسم ضئيل من الوجود ، و هو المادي منه؛ فالوجود لا يعني الا الوجود ، لا المادي منه فحسب ، و على من يدعي حصره في المادة ان يأتي ببرهان دون ان يكتفي بالدعوى و يعتبر دعواه برهانا على ما يدعي .

و اما اشتراك المعدوم و المجرد في نفي المادة ، فهذا لا يشركهما في العدم، إذ ان المعدوم ليس شيئاً حتى يحمل وصف المادية و التجرد عن المادة. و لذلك يصح نفي هذين النقيضين عنه: (المعدوم لا مادي و لا مجرد عن المادة) و أما المجرد فهو فيما نعتقد، موجود لايحمل نقيضه و هو المادة عن الموجود المجرد إنما يعتبر نفيا لوجوده لو إنحصر الوجود في المادة و هو أول الدعوى؛

---

١. و التفصيل إلى كتابنا ((حوار)) .

فالمجرد عن المادة أعم من المجرد عـن الوجـود إطلاقـا و المجـرد عـن الوجـود المادي فقط.

و هذا يختلف عن المعدوم؛ لانه مجرد عن الوجودين المـادي و التجـردي معـاً. و يكفـي هـذا فرقـاً بـين المجـرد و المعـدوم[١] و المـاديّون لا يسـتندون فـي نفـي الوجود عن الإله المجرد الا بنفي المادّة - بذاتها و صـفاتها - عنـه ، ونحـن نعتبـر هكذا نفي ضرورياً في إثبات ألوهيته و أزليته؛ لانّ المادة حادثة ايّا كانت.

٦- شبهة الازلية

يقولون: انّنا لانعقل موجوداً ليسـت لـه بدايـة؛ فكيـف نعتقـد فـي الإلـه الأزلـي؛ فلماذا اختص هو بالازلية دون سواه؟ و من أين جاءته الأزلية دون سواه؟

و لكن قولهم: لماذا اختص هو بالأزلية دون سواه في معنـى الإعتـراف بإمكـان أو ضرورة أزلية مّا في الكون و قولهم من أين جاءته الازلية يعني أنهـم مـا عرفـوا معنى الأزلية و أنها اللاأولية في الوجود - و أنـه لا معنـى لمجيئهـا فإنهـا حاصـلة منذ الازل.

فهؤلاء بين أمرين : إنكار الأزليـة للمجـرّد لإستحالتها فهـو إنكـار للاأزليـة فـي الكون إطلاقا و إقرار بحدوث كل كائن آيّا كان أو إنكـار أزليـة المجـرّد؛ لتجـرّده عن المادة، فهذا يتنافى و إستبعادهم لأصل الأزلية و القول بحدوث الكون أجمع يضطرهم اخيراً إلى الإعتقاد في وجود أزلي خلق الكون أجمع،[٢] إذ كيف تحـدث الكائنات دون مكوّن أزلي.

٧- شبهة الحدوث :

---

١. راجع كتابنا ((حوار)) مشكلة التجرد ص ١٠٦-١١٤

٢. راجع كتابنا ((حوار بحث الازلية و الحدوث)) .

... إنهم احياناً ينكرون حدوث العالم؛ اذ يحيلونه أو يستبعدونه كيف حدث؟ أ من العدم و لا يصبح العدم وجوداً و المعدوم موجوداً ؟ أو من موجود قبله و هذه ولادة و ليس حدوثاً؟

و قانون لاوازية (ان المادة لا تحدث من عدم كما انها لا تنعدم) يؤيد فكرة استحالة الحدوث - حدوث الذات بعد ان لم تكن الذات شيئا .

و الجواب : ان العالم لم يحدث من لا شيء كان قبله ، انما لا من شيء بارادة خالق الاشياء ، انما لاوازية لا يعني الجهة الفلسفية من الحدوث ، انما الفيزيائية أي ان الحالات المختلفة للاجسام ليست وجودات و ذوات و حوادث متعاقبة ، انما حالات و تطورات متلاحقة على مادة ما ، فهو يعني بقانونه هذا : ان تلكم التقلبات و التغيرات الماهوية في المادة لا تحكم على ذات المادة بالحدوث بعد الزوال . و لا الزوال بعد الحدوث ، و انما الحادث في كل حادثة هو الصورة الطارئة على المادة . و المادة في اصل ذاتها متحفظة بماهيتها المادية.[1]

و أما أصل المادة فهي مخلوقة خلقت لا من شيء كان قبلها لا من اللاشيء.[2]

مبدأ النقيض :

شبهات حول التناقض :

قد يقال : كما كشف العلم عن الكثير مما كان مرموزا و مجهولا او كان مستحيلا، كشف عن واقعها بصورة ملموسة محسوسة، و جعل بعض المحالات من الممكنات .

فهكذا قد يفصح المجال لحل عقدة الاستحالة عن اجتماع النقيضين و ارتفاعهما[1] و قبل قليل كشف العلم عن ان التناقض كامن في ذوات الاشياء إلى حيث لا يستطيع كائن ان يتحلل عن التناقض الداخلي .

---

١. راجع كتابنا ((حوار)) ص ٥٩-٦١ .

٢. راجع كتابنا ((حوار)) ص ٢٦٦-٢٦٧ و المناظرات .

يقول ستالين: (ان نقطة الابتداء في الديالكتيك - خلافا للميتافيزية - هي وجهة النظر القائمة على ان كل اشياء الطبيعة و حوادثها تحوي تناقضات داخلية؛لان لها جميعا جانبا ايجابا - ماضيا و حاضرا - و فيها جميعا عناصر تضمحل و تتطور).[٢]

و يقول لينين: (الديالكتيك بمعناه الدقيق هو دراسة التناقض في صميم جوهر الاشياء).[٣] (و المنطق الديالكتيكي هو علم الفكر الذي يرتكز على الطريقة الماركسية المميزه بهذه الخطوط الاساسية الاربعة : الاقرار بالترابط العام - و بحركة التطور - و بقفزات التطور - و بتناقض التطور).[٤]

ماوتسي تونغ و مبدأ النقيض :

و يقول ماوتسي تونغ: (ان التناقض في الاشياء - اي قانون وحدة الاضداد - هو القانون الاساسي الاهم في الديالكتيك المادي).

و يقول: بعد اكتشاف النظرة الديالكتيكية المادية إلى العالم بواسطة مؤسسي الماركسية الكبيرين - ماركس و انجلز - و بواسطة مكملي عملهما العظيمين - لينين و ستالين - قد طبق الديالكتيك المادي بنجاح عظيم جدا في تحليل جوانب عديدة من التاريخ البشري و التاريخ الطبيعي ... و اصبحت عمومية التناقض شيئا معترفا به لدى كثير من الناس ... اما مسألة خاصية التناقض فان عددا كبيرا من الرفاق و اصحاب الجمود العقائدي منهم بصورة خاصة ،لم يفهموها بعد حق الفهم، انهم لا يفهمون ان عمومية التناقض تكمن بالضبط في خاصية التناقض، كما لا يفهمون إلى اي درجة عظيمة تبلغ اهمية دراسة خاصية التناقض الكامنة في الاشياء المحدودة، ان عمومية التناقض او صفته المطلقة

---

١. راجع كتابنا حوار بين الالهيين و الماديين ، ص ٤٦– ٤٩ .
٢. راجع المادية الديالكتيكية و المادية التاريخية ، ص ١٢ .
٣. حول التناقض ، ص ٤ .
٤. المنطق الشكلي الديالكتيكي ، ص ٩ .

ذات معنى مزدوج، فأولاتوجد التناقضات في عملية تطور جميع الاشياء ، و ثانيا توجد حركة التناقض في عملية تطور كل شيء منذ البداية حتى النهاية.

يقول انجلز : ان الحركة نفسها هي التناقض، و يعرف لينين قانون وحدة الضدين بانه اعتراف (اكتشاف) بالاتجاهات المتناقضة المتعارضة المستقلة عن بعضها في جميع ظواهر الطبيعة (بما فيها الفكر و المجتمع) و عملياتها .

ثم يقول ماوتسي تونغ تصحيحا لما نقله عن المذكورين : ان الاعتماد المتبادل بين طرفي كل تناقض في كل تناقض في كل شيء معين و الصراع بينها ، يقرران حياة ذلك الشيء و يدفعان تطوره إلى امام ، فليس ثمة شيء به تناقض ، و لو لا التناقض لما وجد شيء .

ان التناقض هو اساس الاشكال البسيطة للحركة (مثلا الحركة الميكانيكية) و هو بالاحرى اساس الاشكال المعقدة للحركة .

و يقول : قد اوضح انجلز عمومية التناقض بالعبارات التالية : اذا كان التغير الميكانيكي البسيط لشيءٍ مّا من كان لآخر ينطوي على تناقض فان ذلك ينطبق بالاحرى على الاشكال الاعلى لحركة المادة ، و بخاصة على الحياة العضوية و تطورها .. ان الحياة تعني بالتحديد - و قبل كل شيءٍ - : ان الشيء الحي هو في كل لحظة ذاته ، و لكن في نفس الوقت شيء اخر ايضا ، فالحياة اذن هي ايضا تناقض قائم في الاشياء و العمليات ذاتها، و هوينشأ ويحل نفسه باستمرار ، و حالما يتوقف هذا التناقض تتوقف الحياة ايضا و يحل الموت.

و لقد رأينا كذلك اننا لا نستطيع في مجال التفكير أيضا أن تتجنب التناقضات ، و ان التناقض مثلا بين قدرة الإنسان الكامنة فيه اللامتناهية على المعرفة، و بين وجودها الفعلي في البشر الذين هم محدودون خارجيا و يملكون معرفة محدودة ، هذا التناقض يجد حله في تعاقب لا متناه بالنسبة إلينا - على الاقل في الواقع - من الاجيال في التقدم الذي لا نهاية له.

يقول: اوضح لينين عمومية التناقض كما يلي : في الرياضيات : + و - التفاضل و التكامل في الميكانيكا:

الفعل ورد الفعل –٠:

في الفيزياء : الكهرباء الموجبة و السالبة.

في الكيمياء : اتحاد الذرات و تفككها.

في العلوم الاجتماعية : الصراع الطبقي.

نقول: إنّ الشيوعيين يستنتجون من ذاتية التناقض بين الأشياء و بين الأفكار أن الحركات و التطورات الموجدة في الأشياء ليست لأسباب خارجة عن ذواتها حتى نفلسفها بما وراء الطبيعة و نحتاج إلى فكرة اللاهوت، لان كل هذه التطورات ناتجة عن التناقض و التصاد الموجود في جواهر الاشياء من البداية، خلافا لمدرسة ديبورين اذ تقول ان التناقض لا يظهر منذ بداية عملية ما وانما يظهر عندما تكون العملية قد تطورت إلى مرحلة معينة ، و بناء عليه نحتاج إلى أسباب خارجية إلى هذه المرحلة المعنية.

و يستنتجون أيضا أن القول بأصالة المادة لا ينفيه لزوم التناقض فيما اذا استلزم القول بحدوث المادة مع القول بأزليتها، او عدمهما معا .. "

و لقد فصلنا القول في استحالة التناقض ذاتيا في كتابنا (حوار) و إنّ التناقض المزعوم و الحركة الموجودة في الأشياء ليس تناقضا اصطلاحيا يحيله العقل ، و ان نفس هذه الحركة و التغير هي حجر الاساس لاثبات حدوث المادة ، التي تعتبرها الماركسية ذاتية الحركة و ذاتية التناقض ، لحد لولا الحركة و التناقض فلا وجود مادي .

نحن نقول كذلك : لولا السبب الخارج عن ذات المادة المحرك و المطور للمادة فلا مادة، اذ نفس التطور و الحركة و التغير حادث و كما فصلناه في ظواهر حدوث المادة.[1]

---

١. حوار ، ص ١٨١ –١٤٢ ٠

فالشحنتان: الموجبة و السالبة، الموجودتان في صميم ذوات الأشياء لاتتناقضان و لا تتنافيان، إنما تتفاعلان في كيان الأشياء ذاتيا و تطورا، اذا فمبدأ النقيض و هو أهم المبادي الفلسفية عند الماركسية في إنكار وجود الله أصبح من أهم المباديء في إثبات وجود الله تعالى.

إنهم يقصدون من تطور الأشياء بطاقاتها الذاتية غير المستمدة من خارج أن يقضوا على فكرة الذله، و لكنّهم يثبتون من ناحية أصيلة فكرة الإله اعتباراً أن ذاتية التطور و التحرك و التغير تنادي بحدوث المادة بعوارضها فهي بحاجة إلى علة اولية.

و نحن نقول: إنّ العلة الاولية كما خلق المادة الاولية، كذلك قرر قوانين مادية في جواهرها و ذواتها متفاعلة، و هذه القوانين تطورها، دون أن تكون مستقلة في تطويرها، و إنّما الله من ورائها محيط، و ليست هذه العلل المادية الكامنة في المادة مستقلة و غالبة في جنب علة العلل، إنّما هي عمال العلة الاولية مسيّرة لا مخيّرة له أن يحدّها و له أن يقضي عليها و كما نرى في خوارق العادات؛ فالفكرة الميتافيزيقية الصحيحة لا تنكر العلل المادية، و إنما تنكر أصالتها و إستقلالها و أزليتها ..

هذه الفكر تعتنق في اله واحد وراء المادة، هو الذي خلق المادة بعللها المادية و معاليها، دون أن تستقل عن الاله الخالق المطور المصور؛ فمبدأ النقيض - رغم معتنقيه - لا يناقض فكرة الاله بل و يعاضدها و يؤيدها كما و سوف نبرهن عليه عند البحث عن ظواهر و براهين حدوث المادة.

يقول ماوتسي تونغ : يوجد التناقض في عملية تطور جميع الاشياء - و هو يتخلل عملية تطور كل شيء من البداية حتي النهاية - هذان هما عمومية التناقض و صفته المطلقة، و تتحدث الآن عن خاصية التناقض.

اولا : إنّ للتناقض في كل شكل من أشكال حركة المادة صفته الخاصة، أنّ معرفة البشر للمادة هي معرفتهم بأشكال حركة المادة؛ لأنه ليس في العلم شيء سوى المادة في حالة حركة، و حركة المادة لابدّ أن تتخذ شكلا من الاشكال

المعينة، و ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار عندما نتفحص كل شكل من أشكال حركة المادة - السمات التي يشترك فيها هذا الشكل مع الأشكال الأخرى للحركة - لكن ما له أهمية أعظم هو وجوب ملاحظة السمة الخاصة للشكل المعين من أشكال حركة المادة و ملاحظة هذه السمة الخاصة هي التي تشكل أساس معرفتنا بالاشياء ـ أي ملاحظة الإختلاف الجوهري الذي بينه و بين الاشكال الاخرى ـ و بهذا وحده نستطيع أن نميز بين الأشياء المختلفة - أن كل شكل من أشكال الحركة يحتوي في ذاته على تناقضه الخاص - و هذا التناقض الخاص يشكل الجوهر الخاص الذي يميز الشئ عن الاشياء الاخرى - و هذا هو السبب الباطني او الاساسي كما يسمى أيضاً في الإختلاف العظيم الذي لايمكن حصره بين الأشياء المتنوعة في العالم - و ثمة اشكال عديدة للحركة في الطبيعة: الحركة الميكانيكية، و الصوت، و الضوء، والحرارة، والكهرباء ، و التفكك، و التجمع، و هلم جرا و جميع هذه الاشكال يعتمد بعضها على بعض في البقاء و يختلف بعضها عن بعض جوهريا في آن واحد، و ان الجوهر الخاص الذي يحمله كل شكل من أشكال حركة المادة يتحدد بالتناقض الخاص الذي يتميز به ذلك الشكل - و ينطبق هذا لا على الطبيعة وحدها - بل ينطبق كذلك على ظواهر المجتمع و التفكير؛ فان كل شكل من اشكال المجتمع و كل اسلوب من اساليب التفكير - له تناقضه الخاص و جوهره الخاص..

هذا ماوتسي تونغ و كثير مثله من الماديين يعتبرون حجر الاساس في انكار وجود الله مبدأ التناقض في صميم جوهر الاشياء - و ان المادة هي الحركة - و انه ليس في الكون الا حركة و مادة هما واحد.

ولكنهم من حيث لا يعلمون يحفرون من وراء ذلك قبر ازلية المادة و يحوجونها إلى محرك اول. اذ يصرحون بحدوث المادة ذاتيا بما يصرحون بحركتها المساوية لكيانها - و الحركة = الحدوث! فاذا كان مطور المادة هي الحركة فلنسأل اذا عن خالق الحركة و محدثها - أ هي حركة اخرى - و الحركة

في ذاتها حادثة ايا كانت؟ فلابد من محدث و محرك اول هو مطور و ليس بمتطور ـ محرك و ليس بمتحرك - و الا لاستحال وجود المادة و بقائها!٠

و ذاتية الحركة في المادة - على حد تعبير الماركسيين- لا تعني الا ذاتية الحدوث- اذ الحركة هي الحدوث بعينه، اذا فليست الذاتية تنفعهم في استغناء المادة عن خارج ذاتها - المحرك غير المتحرك - الازلي غير الحادث-المطور غير المتطور- الموجود غير المادي٠ خارج عن الحدين: (حد الابطال و حد التشبيه). اذا فقول ماوتسي تونغ: ان قانون التناقض في الاشياء اي قانون وحدة الضدين هو القانون الاساسي في الطبيعة و المجتمع و بالتالي القانون الاساسى للتفكير، انه مناقض للنظرة الميتافيزيقية إلى العالم٠

هذا القول لا محصل له - لو اراد من التناقض سبب التطور الداخلي في الاشياء، إلا أنه يريد ليكتفي بالطاقة الداخلية - و على حد تعبيره - بالطاقة الذاتية فى الاشياء فيحللها عن طاقة خارجة عن ذواتها- و أنى له ذلك!

و اصلاح أخير لقوله بالتناقض بين المبدأين هو انه يريد به التلائم التام بينهما، كما التناقض في صميم جواهر الاشياء هو السبب للتلائم في التطور نحو الكمال المطلوب! فلتفتش الماركسية عن أعماق كيان المادة فانه لايزيدها الا ان المادة بحاجة ضرورية حيوية إلى طاقة جبارة وراءها - و الكشف عن علل التطوير في المادة و انها التناقض و الحركة الذاتية فى صميم جوهر الاشياء - هذا الكشف لا يغني المادة - الذاتية الحركة - عما وراءها، اذ ان المادة اذا ليست الا الحركات، و هي حادثة الذات، فالمادة التوأمة مع الحركة في ذاتها، هي ايضا حادثة الذات.

اشتراكية في العداء للدين الالهي:

ان السوشيالست «الاجتماعيين» و النيلست «العدميين» و الكوميونست« الاشتراكيين» غايتهم جميعا رفع الامتيازات الإنسانية كافة و اباحة الكل للكل، و اشراك الكل في الكل، و جميعهم على اتفاق في ان جميع المشتهيات الموجدة على سطح الارض منحة من الطبيعة (والاخاء بالتمتع بها على سواء) و يرون ان

الدين و الملك عقبتان عظيمتان و سدان منيعان يعترضان بين ابناء الطبيعة و نشر شريعتها المقدسة! « الاباحة و الاشتراك».. و يفرضون على طلاب الحق الطبيعي ان ينقضوا هذين الاساسين و يبيدوا الملوك و رؤساء الاديان، ثم يعمدوا إلى الملاّك و أهل السعة في الرزق، فان دانوا لشرع الطبيعة فخرجوا عن الاختصاص فتلك و إلا أخذ باعناقهم قتلا حتى يعتبر بهم من يكون من امثالهم، فلا يلوون رؤوسهم كبرا على الشريعة المقدسة!.شريعة الطبيعة.

هؤلاء يخلطون بين الديانات الالهية و بين الملكية الظالمة فيضربون بسوط جبار قاس على القبيلين.. و درس الديانات الصحيحة الالهية يورثك جوابا حسما عن هذه الشطحات.

الازلية و الحدوث:

نقول: واقع الكون كله لا يخلو عن انه حادث بتمامه أو أزلي كذلك او بعضه حادث و بعضه ازلي - و تقسيم الموجود من حيث الكيان الزمني الازلية و الحدوث تقسيم حاصر عقلي لا يقبل سواهما - سواء كان جمعا بينهما او نفيا لهما - او ثالثا بينهما برزخا بين الازلية و الحدوث كما يزعم في المادة و كما يخيل إلى بعض الفلاسفة من الحدوث الذاتة و الازلية الزمنية للكون؛ فالحكم بحدوث الكل حكم بالحاجة إلى أزلي احدثه، و هو الله تعالى شأنه، و الحكم بأزلية الكل يبطله الحدوث الملموس في المادة. يبقى الحكم بحدوث المادة و ازلية خالق المادة و هو الله تعالى.[١]

المادة او الله:

ان المادة، ايا كانت، طاقة و سواها، تنادي من صميم ذاتها و صفاتها انها حادثة الذات و الصفات، و قد احاطت بها ظواهر اربع ذاتية، تقضي على ازليتها:

١. راجع حوار، ص ٤٣، ٤٤، ٥٥، ٥٧، ٦٨، ٧٢، ١٢٨، ١٣٩.

الزمان، التغيير، الحركة، التركيب،[1] و هي جغرافية المادة الملازمة لذاتها، لا تقدر ان تحلل عن شيء منها.

التصوف طوال التاريخ:

ان التصوف بعبارة موجزة : طاقة تخديرية نشبت في الديان؛ فجعلتها شذر مذر و كأنها لاشيء، اذ قضت على الطقوس الدينية بتهمة و دعاية أنها قشور و ليست الا للقشريين، و الحاجة إليها إنّما هي ما دام الإنسان غير واصل إلى حضرة القرب و الكمال المطلوب، و أما الواصلون - سواء بواسطة القشور أم سواها - فليسوا بحاجة إلى هذه الطقوس الدينية.

نرى هذه الصوفية القاضية على القشور؛ في كافة الأديان الإلهية و سواها.

لهذه الفكرة مرحلتان : ١- فلسفية تتمثل في وحدة الوجود بمختلف معانيها ٢- عملية تتمثل في إبطال شريعة الناموس بالمرة، أو الإكتفاء بالبعض منها و الدافع الأصيل لهذه الفكرة هو التحلل من القيود المحددة لحرية الإنسان.

و يختلف من التحلل الإلحادي و الإباحي بالطابع الديني الذي يتستر ورائه الصوفي، و لكي يبرر أعماله المخالفة للشرع بوجه شرعي، هو في زعمه فوق الشرع، المسمى عنده بالطريقة مقابل للشريعة و هذه الصوفية العارمة هي التي قضت على المسيحية و تريد القضاء على الاسلام ايضا، و اتباعها هم الذين يحاولون التحلل عن أسر الشريعة فيجدونها احسن مبرر و آمن ملجأ لما يريدون.

ثم الصوفي يطلق احيانا على الزاهد المراقب لاعماله الصافي عن كدر العصيان و العلاقات الدنيوية، و هو بهذا المعنى من اصل الشريعة دون ان تكون طريقة خاصة تختلف عن الشريعة و نحن اذ ننقد التصوف و الصوفي فانما نعني

---

١. راجع حوار، ص ١٨٩، ٢٤٢.

من انعزل عن الشريعة او اضاف إلى ها ما لم ينزل الله به سلطانا، مما يسمى بالطريقة.

الصوفية البولصية:

بولص الرسول، اول من فتح باب التصوف على المسيحية فقضى على شريعة الناموس بتصوفه العارم.[١] و من جرائه اخذ اذنابه في دعايات متواصلة لنشر التصوف في الاسلام ايضا ليقضوا عليه كما قضي على المسيحية ، و على المسلمين ان ينتبهوا .

الفكر الفلسفية حول الإله: وحدته و كثرته:

لقد كثرت الارآء - بعد إثبات وجود الله - في: هل هو واحد لاشريك له ، كما دعي إليه أنبياء الله تعالى، أم إثنان: إله الخير و إله الشر .. كالثنوية، أم ثلاثة في واحد أو في ثلاثة أقانيم كالثالوثيين المسيحيين و من سبقهم من الوثنيين.[٢]

...الفكر الفلسفية التقدمية :

في هذا النضال الفكري الفلسفي - طوال التاريخ - نجد تابع الحقيقة و التقدم و الحضارة في الفكر الفلسفي نجده في مكاتب النبيين؛ اذ نجدهم في كلمة واحدة يصدقها العقل و الفطرة و العلم و الحس و الواقع الخارجي: ان الكون المادي كله حادث خلقه الخلاق العظيم، الاله الواحد الحي القيوم المجرد عن الحدود و العوارض المادية . الازلي الابدي ، و نجدهم يوجهون البشرية إلى فكرة الاله الواحد، و إلى عبادته وطاعته لصالحهم في كافة المجالات الحيوية، و نجد كل الحضارات طوال التاريخ انها من رجال الوحي، وان الخرافات و الاوهام البشرية هي التي اخرت الإنسان ـ ما تأخر ـ عن مصيرة الكمال،

١.راجع المقارنات ،ص ٦١ ـ٧٠ ، بولص ناقض الشريعة .

٢.راجع كتاب التوحيد من كتابنا ((حوار)) و ((عقائدنا))

خرافات و حيونات يسمونها حضارات، و نحن نعني من الحضارة الجانب الإنساني منها، رافضين حيونتها لاهلها.

الافكار المحركة للتاريخ و الصانعة للحضارات:

... سير عابر في حياة الانبياء طوال التاريخ الرسالي يعطينا هذه الفكرة : انهم انما بعثوا لبعث البشر عن الغفوة و الغفلة، ولتعديل الحياة و ترقيتها ما أمكن - و لمحاربة الجهل و الظلم و الخرافات و الاوهام، فهم الرعيل الاعلى، و هم في الصف القدامي لترقية الإنسان و لتصنع الحضارة الإنسانية - سياسية و اقتصادية، فلسفية و ثقافية، علمية وعملية.

البعث و الانبعاث:

من الطوابع الرسالات الإلهية طابع البعث، و هو يعني في حد ذاته ثورة حيوية لإحياء الإنسان بعد موته و لتحريكه عن سكونه، و لايقاظه عن نومه، و لذكره عن نسيانه.

ان البعث ضد الركود، هو تقدم بعد تأخر، و سير نحو الكمال بعد الوقفة او بعد التأخر إلى القهقرى.

اهداف البعثات الرسالية:

انّنا نجد حجر الأساس في تأخر الإنسان الخلافات العارمة المتحكمة بين أفراد هذا النوع و جماعته:

ثم نجد حجر الاساس في إبتعاث النبيّن، الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، و توحيد الكلمة على القسط و العدل ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢: ٢١٣).

و توحيد العقيدة من أحسن السبل لتوحيد الإنسان في كافة المجالات الحيوية، و قد تكفّله رجالات الوحي و كتابات الوحي اذ بعثوا لرفع الجهل و للتعليم و التزكية.

و نجد انهم بعثوا ايضا لتثقيف البشر و اخراجه عن ظلمات الجهل و الاوهام إلى نور العلم و التقدم: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٣: ١٦٤).

بعثا لمعرفة الله و عبادته و الخروج عن عبادة الطواغيت ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (٣٦:١٦).

بعثا لمحاربة الظلم و الجور : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٢٤٦:٢).

يبعث الله طالوت ملكا عادلا ليدفع جالوت و يقضي عليه و قد قضي، و رغم ما كانت تزعمه بنو اسرائيل و تحتمه من شروط الملك من كثرة المال و العشيرة فان الله يبعث من عنده العلم و القدرة و العدالة، شروطا اصيلة للزعامة : ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٤٧:٢).

تعني الآية ان الزعامة و الملك خاصة بالله تعالى و بمن يرضاه ملكا، و هم الذين عندهم العلم و الشجاعة و العدالة لكي تصبح الشعوب في ظل حكمهم على رغد الامن و العيش:

و لقد كانت الغلبة اذ ذاك لجند الله و حزبه بمن فيهم من الصالحين و على رأسهم داود : ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا

وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ . فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٢:٢٥١ –٢٥٠ :).

هزموهم باذن الله لصمودهم في سبيل الله و تصميمهم على استرجاع حقوق المظلومين، رغم انهم كانوا من الاقلية الشاردة المتفرقة، قبل أن يبعث الله فيهم طالوت ملكا : ﴿...فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ (طالوت)وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٢:٢٤٩).

ولقد كان إبتعاث رجالات الوحي طوال التاريخ الرسالي لبعث البشرية نحو العقل و العلم و العدل و التقدم في كافة الكمالات الإنسانية و ما نراه من التقدم في غير المؤمنين انما هو مقتبس من رجال الوحي، فانهم انبعثوا لاخراج الناس من الظلمات إلى النور، من ظلمات الظلم و الظلام العقائدي و السياسي و الاقتصادي و الثقافي، و كما نلمس كل ذلك من دعوات الأنبياء.عليهم السلام

موسى و فرعون:

يبعث الله موسى و اخاه هارون إلى طاغية زمانه فرعون، الذي استخف قومه فأطاعوه و استعبد بني اسرائيل يقتل أبناهم و يستحيي نساءهم، و يرتكب كل عملية جبارة لا إنسانية شريرة بحق المظلومين المحطمين. فيبعث الله موسى لانجاء المظلومين و القضاء على الفرعونية الجبارة.

فرعون الطاغية:

ففرعون حسب القرآن من الطغاة التاريخ الكبار، كان يسوم بني اسرائيل سوء العذاب (٢:٤٩) و يكفر بآيات الله (٨: ٥٢) و انه على في الارض و أسرف (١٠:٨٣) و احتكر الاموال و الزينة (١٠:٨٨) و طغى إلى حد ادعى الالوهية(٢٠:٤٣) (٢٨:٣٨) على في الارض (٢٠:٤٣) (٢٨:٣٨) و جعل اهلها شيعا (٢٨:٤)؛ فبعث الله إليه موسى و هارون ليكسرا ثورة بغية و غيّه، و يخلصا

الشعب المظلوم من ظلمه و جوره: اذهبا إلى فرعون انه طغى (٢٠:٤٣) فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين (٢٦:١٦).

هنا نرى بحراً من العلم و الحنان قبال عالم من الجهل. فرعون الملك يجابه موسى النبي بكل جهل و غباوة مستمداً معتمداً على قدرته و ملكه، و موسى يواصل في دعوته ببرهان مبين:

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (٢٦:٢٣– ٢٩).

نمرود:

و نرى ابراهيم حسب القرآن كيف يحاول في اخراج قومه من ذل الجهل الاستعمار النمرودي و كيف يجابه نمرود الطاغية بكل ما يملكه من صمود و برهان : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ (٢:٢٥٨) ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ (٣٧: ٨٥– ٩٨).

و نرى من كافة الرجالات الوحي انهم الدعاة إلى كافة الحضارات الفكرية و العقائدية و العلمية، و هم الصناع للتقدم بكل ما يعنيه في النواحي الإنسانية.

أجل، و إن دراسة تاريخ الأنبياء تعرفنا أنهم هم أصول الدعوة إلى الحضارات و أنهم صناع الحضارات. ثم نرى كل جمود و تأخر في التاريخ الإنساني انه من

جراء العقلية الإنسانية المتحللة عن الوحي و عن دعوات رجالات الوحي، مهما كان البشر متقدما في الشهوات الحيوانية، فانه تقدم نحو الحيوانية و تأخر عن الحياة الإنسانية.

ثم نرى كل حركة صالحة في التاريخ، حركة فكرية او سياسية او اقتصادية او ثقافية نرى الكل من نتائج دعوات الانبياء، و إليك جولة مقارنة في عمق التاريخ، نختصر تاريخ الحضارات المتحللة عن الديانات الالهية - والمتحللة بها - و المازجة بين الامرين - و لكي نلمس هذا الواقع المجهول المنكور. ان رجالات الوحي حياتهم ثورة هدامة ضد الظلم و في سبيل إحقاق حقوق المظلومين.

صالح:

فقد نرى صالحاً إنبعث في سبيل الإصلاح رغم كل العرقلات ضده من قبل المترفين الأقوياء : ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ (٧: ٧٣- ٧٩)... ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ (١١: ٦٢- ٦٣).

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ (٢٦: ١٤٣-١٥٢).

شعيب:

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ... قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ (٢٦: ١٧٦-١٨٥).

و هكذا نرى أنبياء الله عليهم السلام يصلحون طوال التاريخ الحياة العقلية و السياسية و الإقتصادية و الأخلاقية، و يحاربون السلطات الكافرة المترفة.

فهؤلاء وحدهم هم الذين يخدمون الثقافة و الحضارة الإنسانية لا سواهم، و سوف تتحدث عن مدى تأثير الاديان في الحضارة و لا سيما الديانة الاسلامية التي حضرت كل الشعوب التي تمسكت بمبدئها كعقيدة و ايمان و عمل.و حضرت سواهم ما تمسكوا و بقدر ما تمسكوا بتعليماته المتقدمة.

مختصر تاريخ الحضارات

لنعلم قبل الخوض في استعراض تاريخ الحضارات. اننا نعني من الحضارة هنا ما يلائم الإنسان في حياته الإنسانية، و من ضمنها حياته الحيوانية، التي يجب ان تستخدم لترقيته في الجانب الإنساني ايضاً؛ فالحضارة الإنسانية هي الحياة على ضوء العقل و العدل و العطف و الحنان و الوحدة، و كل ذلك نجدها بأكملها في الديانات الالهية، و مهما يوجد حضارة كهذه للبشر كانت ناتجة عن اتباع مكاتب الوحي الالهي، و مهما يوجد تأخر و اختلاف و تقهقر في العلم و العقل و سائر ما إلى ذلك من بواعث العيث و الفساد و البوار و الدمار، نجدها من دوافع الروح الحيوانية و الظلم و الاستبداد؛ فلقد نرى نضالا دائما بين مكتبين طوال التاريخ: ١- الدعوة إلى الحق -٢- الدعوة إلى الباطل - و الباطل من الدوافع الحيوانية للإنسان المتحلل عن وحي السماء، المقتنع بالجانب الحيواني من الحياة.

إنّنا نجد فكرة الإله الواحد المجرّد، و فكرة المعاد و الحياط بعد الموت، و فكرة ضرورة البعثات الرسالية الالهية لدعم الإنسان فيما يعجز عنه أصلياً أو فرعياً، و فكرة ضرورة السعي لاسعاد الحياة دنيا و عقبى، و فكرة ضرورة التعقل و التقدم في العلم و العقل، و ما إلى ذلك من الفكر التقدمية الحضارية؛ نجدها كلّها و زيادة في وحي السماء.

و كما نجد الفكر الوثنية الخرافية الجارفة و استقلال كل إنسان بما يريد و استغلاله غيره كما يهوى و يريد، و فكرة الظلم و التعدي في الأصل الحيواني :«الغاية تبرر الوسيلة» باعتبار أن الغاية جمع الاموال و البطر في المعيشة و الحرية المطلقة فيها مهما اصطدمت حرية الاخرين، و الفكرة السامة القاتلة «فرق تسد» و فكرة الاستبداد و السيطرة على الحكم بالسيف و النار، و فكرة

استثمار الناس و استحمارهم.. و ما إلى ذلك من الفكر المتأخرة الوحشية اللاإنسانية، نجدها و امثالها في المكاتب المعارضة لمكاتب الوحي.

و أخيرا نجد مزيجا من لوني الفكر بين أقوام طوال التاريخ، جمعوا بين الضدين و خلطوا بين الحق و الباطل. فهل يا ترى اي الفرق الثلاث اسعد و انجح في الحياة، و أريح في معطيات و متطلبات الحياة. أجدك أيها الإنسان العقل المنصف تعطي الحق للفكر الناتجة عن وحي السماء، كلما كان الاعتناق بها و تطبيقها أكثر فالحضارة الإنسانية على ضونها أكثر..

ولكننا بالرغم من نصوص هذه الحقيقة نجد الدعايات الزور تترى: ان الحضارة كل الحضارة هي التحلل عن وحي السماء و كما نراها في المسيحيين انهم اخذوا في التقدم منذ تركوا الانجيل و الكنائس!..

والجواب: ان الكنائس و هذا الانجيل الدخيل، انهما كانا حجر عثرة في سبيل التقدم العلمي و الصناعي للمسيحيين، اعتبارا بانحراف الانجيل عن وحي السماء إلى وحي الخرافات التي تدخلت في الانجيل.. لذلك نجد ترك الكنائس و الانجيل تركا للخرافات البشرية المجمدة للطاقات الإنسانية...

و كما نرى ان ترك القرآن - منذ ترك فيما بين المسلمين- كيف سبب في تأخر المسلمين بعد ما استفادوا من نضارة الحضارة على ضوء القرآن في القرون الاولى الاسلامية.

فكان سبب تقدم المسلمين في القديم تمسكهم بالقرآن، و لما تركوه أخذوا في التأخر و الذلة و المسكنة، على عكس المسيحيين : ان ترك الانجيل و الكنائس، و اعتبارها شكلا يستتر به المسيحي ورائه، هذا أصبح نقطة انطلاق للغرب في التقدم، اضافة إلى ما استفادوه من التعاليم الاسلامية المشرقة و لايزالون.

و سوف نبحث في البحوث المقارنة بين الأديان، أن الدين الهي لا يسبب و لن يسبب التأخر في وجه من لوجوه، و انما هذا التأخر المشهود بين البعض من معتنقيه، انما هو من جراء تركهم للتمسك بالدين الالهي الخالص، وجعله في

زاوية القداسة دون ان يعيشوا معه في الحياة، او من تحريفهم للدين بما يجمده و يؤخره عن العقل و عن الحياة كما نراه في المسيحية و اليهودية، و إنه كلّما كان نصيب الدينيين من صميم الدين - عقائدياً و عملياً - أكثر، كان تقدمهم في الحضارة الإنسانية أكثر، و كلّما جرد الدين من هاتين الدعامتين أو أحدهما كان التأخر في الحضارة أبين و أظهر.

القدس:

مهد الديانات و اصلها و مبداها:

ان التاريخ الإسلامي المشرق إنّما يتجلى قبل كل شئ في تطور الاديان بزغت في هذا الجزء الفريد من كوكبنا الارضي، و قد انتشر الاسلام على الارض التي سبق لها ان مهدت لنشأة اليهودية و المسيحية، و من ثم فان الديانات الثلاث الكبار التي قدر أن تتقاسم العالم المحتضر فيما بينها، قد ازدهرت بالتوالي على نفس التربة القاحلة، اذ يقع بيت المقدس على مسيرة بضعة ايام من جبل سيناء، و المسافة من هذا الجبل المقدس حتى مكة لا تكاد تكون أكثر طولا، ويزداد عجبنا في بيت المقدس حيث تختلط آثار الاماكن المقدسة فعلى بضع خطوات من قبر السيد المسيح عليه السلام أقيم جامع عمر، و فوق أساس معبد سليمان، قدس أقداس الاسرائيليين، و في وسط هذا الجامع المحاط بسور من حديد أقامه الجنود الصليبيون توجد الصخرة التي صعد منها محمد الرسول صلى الله عليه وآله إلى معراجه و قد استخدمت هذه الصخرة قبلئذ كمذبح للقرابين خلال الف من السنوات، و هناك وهب للعذراء الابن يسوع.

التقدم- الرجعية - الحضارة- العقلية الحديثة...

هذه الكلمات و آمثالها تتداول على ألسنتنا اليوم أو تشيع في كتاباتنا الفكرية، دون أن نعطي هذه الالفاظ مفاهيمها العلمية الدقيقة او محتواها التاريخي.. و من هنا كان الخطأ في التفكير و الابهام فيه بالقياس لانفسنا، في نظرنا إلى الماضي و الحاضر و المستقبل، فكم نسمع من دعوات للاصلاح، او نقرأ من

ضرورة تدسيس نهضتنا الحديثة على فلسفة كونية او كيانية شاملة، لكنك لا تجد هنا اكثر من الفاظ مكبرة يتجاهل أصحابها ان الحقيقة ليست في اطلاق أحكام كلية او تعليمات جارفة.

و نحن اذا نسبر اغوار التاريخ لاستعراض الحضارات يجب علينا اولا أن نعرف ما هو المعيار في التقدم و الحضارة لإنسانية، و ما هو حجر الاساس فيها لكي لا يخلط علينا الامر؛ فلنعلم قبل كل شئ أننا بصدد البحث عن الحضارة الإنسانية من حيث الإنسان لا الجماد و الحيوان و لا مكائن العمل.. لا - الا حضارة الإنسان التي تتمثل على الاكثر في النضارة الروحية و العقلية، و تظهر في كافة مظاهر الحياة كإنسان : في حسن التعقل و حسن السياسة و الاقتصاد و العدل و العلم الواسع.

الحضارات:

الحضارة المصرية:

المصريون خليط من عناصر متعددة لا يغلب فيها أصل معين، بعضهم أتى من بلاد النوبة في الجنوب أو من ليبيا في الغرب او من الفئات السامية في الشرق او الحامية في الشمال ، تمازجت كل هذه العناصر في وادي النيل فكونت شعبا لايزال حتى اليوم محافظا على ميزاته.

و مع تراكم الرواسب (الطمى) التي تجرفها مياه النيل اتسعت المناطق الزراعية تستوعب قادمين جددا، وأدى التزواج بين العناصر المختلفة إلى تجدد دائم في الدم، ما زادها حيوية و قدرة على الانتاج، فأتيح للمصريين أن يشيدوا احدى أقدم الحضارات في العالم.

ضرورة الحياة الجماعية فرضت تكون القرى و تمكين الوحدة بين السكان، و فرضت طبيعة البلاد على سكانها ان ينقسموا إلى مجموعتين هما : مصر العليا و مصر السفلى، فالعليا هي منطقة (فيّوم) و السفلي (الدلتا).

قد مرت على السفلى في طور نشأتها نفس المراحل التي عرفتها العليا و اختلاف مناخ و جغرافية المصرين أنتج التناقض بينهما و تمكن العداء بين شطري مصر؛ فإنّ العليا انعزلت في واد ضيق الافق محدود المدى قريب من الصحراء بعيد عن التأثرات الحضارية، و لكن السفلى فطبيعتها أغنى و الطقس أرحم و التأثيرات الحضارية أقرب منالا و الانفتاح على العالم الخارجي أسهم في التقدم و الرقي، فغدا طبيعيا العداء بين العليا و السفلى.

ظروف الحياة القاسية هيأت في الجنوب رجالا أشاء قادهم مليكم (نارمر) أو (ميناس) في حملتين على الشمال و فرض الوحدة بالقوة؛ اذ ذاك تبدلت النظرة إلى الملك فاكتسب صفة الهية و عرف باسمه الجديد (الفرعون) او (الصرح الكبير).

تاريخ المصريين:

مر التاريخ المصري بعد الوحدة بأربع مراحل تخللتها فترات إنتقالية:

١- الدولة القديمة (من ٣٢٠٠ ق.م. إلى ٢١١١ ق.م.) و انتهت هذه الدلة بثورات حدّت من سلطة الفراعنة حيال طبقة الاشراف و نجم عنها تدخر في الحياة الاقتصادية.

٢- الدولة الوسطى: (من ٢١١١ ق.م. إلى ١٥٨٦ ق.م.) أدى ازدهار البلاد إلى طمع قبائل البدو (الهكوس) (الملوك الرعاة) بها فغزوها و أخضعوا أهلها بفضل عرباتهم و أسلحتهم البرونزية ¯ ودعلنوا أنفسهم فراعنة و شادوا مدينة ((افاريس)) في الدلتا عاصمة لهم.

٣- الدولة الحديثة (من ١٥٨٦ ق.م. إلى ١١٠١ ق.م.) كانت غزوة الهكوس درسا تلقاه المصريون فصمموا على التوسع في الخارج حتى لا يفاجأوا في عقر دارهم فاحتلوا سوريا و لبنان حتى كركميش على الفرات. و انتصر الفرعون (تحو طمس) الثالث في معركة مجدّ و (١٤٧٩ ق.م.) على امراء سوريا و احتل قادش فامتدت السلطة المصرية حتى الفرات.

و خلال ملك الفرعون (اختاتون) هزت مصر ثورة دينية و ضعفت السلطة الملكية.

الطبقية:

كانت الطبقية أساسا في المجتمع المصري، بين الطبقة العليا الحاكمة و العامة المحكومة و الحاكمة هي المستأثرة المستبدة بمقدرات البلاد و أهلها و هم:

الفراعنة و النبلاء و الوزير و الكهنة و الموظفون و الكتبة.

كما العامة المحكومة هم : الفلاحون و العمال و الجيش و العبيد.

فرعون:

و لفظة فرعون مشتقة من FERAA فرآ و معناها «الصرح الكبير». و قد عنت هذه التسمية في الأصل القصر الملكي ثم ما لبث أن دلّت على الفرعون نفسه، و يجمع الفرعون بين السلطتين الزمنية و الدينية : أنه ملك إله حيث أصبح الهاً بعد آن كان يمثله و إستقر الرأي أنه إبن الإله رع ..

فكل ما في البلاد من أموال ودشخاص يتعلق بالفرعون و الطاعة له عمياء.

و النبلاء هم حاشية فرعون يعاونونه في حكم البلاد.

ثم الطبقة المحكومة هم المقيمون على خدمة الطبقة العليا و حياتهم حياة الاستعباد و هم مرتبطون بالارض، اذا بيعت بيعوا بضمنها، فلا يملكون أنفسهم وأموالهم بجنب الطبقة الحاكمة. يجب على الفلاح دفع الضرائب المرهقة و الا تعرض للضرب مع عائلته ـ و عليه أن يصبر على الجوع و التقشف اذا انجلت الارض - و قد يطرد العامل من أرضه اذا لم يدفع أو لم يستطيع أن يدفع الضريبة لان الارض ملك فرعون.

العمل:

لم تكن حال العمال بأحسن من الفلاحين، فمعظم انتاجهم لا يكاد يكفة الحاجات الاستهلاكية و لذلك بدأوا في عملهم كموظفين لدى الفرعون و الكهنة و النبلاء و أتيح لبعضهم أن يكونوا أحرارا في مهنتهم. و على أية حال لم تكن لليد العاملة أية قيمة في الجو الفرعوني الطاغي و البنايات العالية في تلك الزمن أصدق شاهد على مبلغ جهودهم و مدى أتعابهم.

الجيش:

ان حياة الجند في مصر كانت مرهقة جدا -لان معظمهم كانوا مشاة - و الاسلحة اقتصرت في البدء على السيوف و العصي و أخيرا ظهرت عربات الحرب.

العبيد:

و هم أدني درجات المجتمع، تكاثر عددهم في مصر فإضطرّ الفرعون رعمسيس الثالث أن يقيم لهم معسكرات وأن يجبرهم على العمل في الحقول، و بعد ذلك أذن لهم بالزواج و العمل و الفلاحة كسائر العمال و الفلاحين و إستفاد منهم فرعون في تدعيم مركزه فعلت بذلك مرتبة العبيد شيئا ما.

مع كل ذلك فقد كانت الحضارة المصرية فائقة على كافة الحضارات وقتذاك، يتبين هذا نفوذهم السياسي و الاقتصادي. و زاد في تفوقهم إزدهار بلادهم الإقتصادي و اشعاعها الحضارة توسع دولتهم في الخارج؛ ففرضوا تأثيراتهم على فينيقيا و سوريا و لبنان و سواها.

الكتابة و الآداب و العلوم

الكتابة - مراحلها:

إعتباراً أنّ الفكر كان مسخراً للدين بدأ طبيعياً أن تتخذ الكتابة صيغة مقدسة فتسمى باسم (الهيروغليفية) أي: الصور المقدسة.

المرحلة الصوتية:

و قد مرت الهيروغليفية شأن كل الكتابات بمرحلة أولية تصويرية حيث الصورة تعبر عن الفكرة و لكن هذه الصورة غير دقيقة في اداء المعنى و قابلة للتأويل في غير المراد - أو عاجزة أحيانا عن اداء المراد - فكيف يعبر مثلا من الكذب؟ - إلا أنهم لتمييز الإسم من الفعل جعلوا اشارةً خاصةً تتبع الفعل دائماً.

المقطع الصوتي:

هذه هي المرحلة الثانية حيث تعبر الصورة عن مقطع كلمة فتحتفظ بقيمتها الصوتية فقط ثم كانوا يخلطون الكلمات التصويرية و الصوتية و زادت هذه الطريقة الثالثة في مشتقة القراءة و قد وصل عدد رمزها إلى السبعمائة.

العلوم:

كان المصريون من دول من قسم السنة إلى إثني عشر شهرا وجعل اليوم أربعا و عشرين ساعة- يقيسونها بواسطة الساعات المائية ليلا و الشمسية نهارا.

التقويم:

و عرفوا التقويم منذ ٢٥ قرنا قبل الميلاد فقد لاحظوا أن فيضان النيل يتكرر بانتظام مدهش فأخذوا يعدون الايام التي تفصل بين فيضانين حتى استقر رأيهم على العدد ٣٦٥ يوما- فكانت (السنة النيلية) و قسموا هذه السنة إلى أربعة فصول أولها (فصل الفيضانات).
و ثمة آثار تدل أنهم عرفوا التقويم القمري و لكن الكهنة فقط اعتمدوه و لضرورات دينية - و كان مبدأ تاريخهم بداية حكم كل فرعون - حتى اذا انتهى حكم كل انتهى التاريخ و ابتدأ من بداية حكم الفرعون التالي.

الاعداد:

ظلت معرفة المصريين بالاعداد محدودة و جهلوا الصفر وكان العدد الاول يرمز إليه بخط عمودي و يتكرر بقدر ما يريدونه من مرات؛ حتى اذا وصلوا إلى العشرة رمزوا إليه بـ (∩) و المائة (𓍢) و لكنهم طوروا علم الحساب و اتخذوا من الجمع أساسا لعمليتي الضرب و القسمة و عرفوا الكسور دون أن يطوروها فتوقفوا عند الثلثين ... و الثلاثة أرباع ...

الهندسة:

و برعوا في الهندسة المساحة لحاجتهم إلى ها في تحديد المتملكات ـ لان النيل كلما فاض بدّل المعالم فيقتضي اذا بعد كل فيضان أن تعاد الحدود إلى ما كانت عليه سابقا و بالنسبة لهندسة البناء أيضا عرفوا المساحة في المستطيلات و المثلثات و الدوائر.

الطب:

تقدم المصريون في الطب فأتيح لهم أن يتعرفوا إلى الجسم البشري و أعضائه و ساعدتهم في ذلك عقيدة الحياة بعد الموت و اشتراطهم لاستمرارها أن يسلم الجسد من التلف و من هنا كان اهتمامهم بالتحنيط.

الحياة الآخرة:

يقوم التمثال المودع في القبر مقام صاحبه فتستمر علاقة روحه بجسده اذ الاندفاع الحيوي يلازم الجسد خلال الفترة التي تلي الموت مباشرة. ثم يتولى نفث الحياة فى خياشيم الميت (طير) يجثم فوق رأسه و يمسك في مخالبه رمز الحياة و بهذا يؤمن له استمرار الحياة. و قد عبر المصريون عن الاندفاع الحيوي بلفظة (خا) و عن الطير بلفظة (يا) و عن الكائن المنتصر الميت بلفظة (أخ) و هذه الثلاثة هي الإنسان نفسه بعد الموت و هو رفض لفكرة الموت. و اعتقدوا أيضا ميزان الاعمال بعد الموت و جزاء كل عمل حسبه اذ ذاك.

انتصار الدين:

و اعتباراً بأنّه لاسبيل للإنسان إلى فهم الحياة بعد الموت و التأكد منها، فهذه العقيدة ليست الا من الديانات الالهية و ان كانت مزيجة بالخرافات الوثنية، و نرى أثرها في هذه الحياة كسر الطغيان و العصيان البشري.

و بما أن البشر طبيعته الطغيان و الاستبداد، فالثورات الهدامة للعروش الفرعونية كانت بطبيعة الحال بالتوجيهات المتواصلة من رجالات الوحي، و كما نرى اسحاق و يعقوب و يوسف و موسى و... حاربوا الفرعونية و انتهى الامر إلى

غرق فرعون الطاغية و جنوده في اليم، في ملاحقته موسى و بني اسرائيل، على حد تعبير التوراة و القرآن.

ونرى القضاء على النظام الطبقي العارم بين المالك و الملوك نراها من رجالات الوحي الذين بعثو لتخليص البشر عن الانحرافات و الانجرافات المعنوية و الاقتصادية .

نرى موسى يبعث إلى فرعون ليكسر طاغيته على بني اسرائيل و يرسلهم معه ويحررهم منأسر الذلة و لعبودية. و نرى كل الفكر الحضارية و التقدمية في مصر ناتجة من وحي السماء مضافا إلى وحي الفطرة التي فطر الله الناس عليها؛ فرسل الله من خارج ذات الإنسان : (الانبياء) ، و من داخله : (العقول و الفكر) يتشاطر ان في تقويم الحضارة الإنسانية و تقديمها و لا يزال .

صحيح أن الإنسان بمقتضى متطلبات الحياة و حاجياتها مندفع إلى الحضارة ، الا أن هذا الاندفاع ليس الا من وحي الفطرة التي فطره الله عليها ، ثم هو بحاجة ضرورية في تعديل و تنظيم الحضارة إلى وحي السماء، لكي لا يطغى عن عمد او جهل، و لكي يستعين بوحي السماء في تقدمه إلى نضارة الحياة روحية و مادية . وفي كلمة جامعة: لكي يتقدم إلى حضارة إنسانية خالصة عما يصطدمها ماديا او معنويا دنيويا او آخرويا .

موسى الرسول عليه السلام يأتي في التوراة بكافة نظم الحياة، لذلك نرى نضارة و حضارة في بني اسرائيل ما داموا اتبعوا موسى في الشريعة .. ثم لما كفرو و كذبوا تفرقوا وذلوا ..

حضارات ما بين النهرين :

بين بادية الشام و مرتفعات ايران منخفض صحراوي يعبره نهر دجلة و الفرات فيحولانه إلى سهل خصيب نسميه اليوم العراق . عرف أقدم الحضارات في العالم. تركزت الحياة في البدء عند الطرف الجنوبي من البلاد، و هنا لك أنشأ السومريون أقدم حضارات العالم، ثم تنالت هجرات القبائل السامية من بلاد

«امورو » وشادت «اكاد» ثم «بابل» ثم «الاشوريون» واتخذوا اشور ثم نينوى عاصمة لهم ، و أخيرا انتقلت مقاليد الامور إلى«الكلدانيين» فأعادوا بابل إلى سابق مجدها ، فتكوّ ن خمس دول قد تعاقبت على بلاد «ما بين النهرين».

دول ما بين النهرين :

نرى خمس دول تواترات على ما بين البهرين •

السومريون ، الاكاديون، البابليون ،الآشوريون ، الكلدانيون .

السومريون :

هم أغراب عن بلاد ما بين النهرين ، من مناطق جبلية عالية و غنية بالنحاس (ايران - القفقاس - الاناضول) حلوا في الجنوب عند مصبي دجلة و الفرات حوالي العام ٣٢٠٠ ق . م. وأسسوا مدنا أشهرها أور ، أردلا ، أومّا ، لاغاص ، لارسا .

و عهدهم ينقسم إلى عهد المدن المستقلة و عهد المملكة المتحدة - في المرحلة الثانية قيض لمدينة أومّا ملك قوي «لو غال زاجيرى» فثأر لها و تابع زحفه نحو المدن الاخرى فوحدها في دولة واحدة عاصمتها «اورك» و فاخر هذا الملك ببسط نفوذه من البحر الادنى «الخليج العربي» إلى البحر الاعلى «المتوسط» و لكن هذه المملكة لم تعمر أكثر من ربع قرن وسقطت على يد «الاكاديين» عام ٢٧٢٥ ق . م .

الاكاديون :

أصلهم راق لبعض القبائل الضاربة في بلاد امّورو تكاثر عدد الساميين في موطنهم الجديد و قام زعيمهم «سرجون» يجمع كلمتهم وشاد عاصمة جديدة دعاها «اكاد» ثم حارب السومريين فغلبهم . و بذلك سميت بلاد اكادية - و هكذا حل العنصر السامي محل العنصر الاري - او الهذي الاوروبي - ثم لم تدم هذه الدولة الا أخذت في الضعف .

البابليون :

أصلهم بلاد امّور و مصدر الهجرات السامية المتعاقبة - هؤلاء النازحون الجدد استقروا في بابل «بيت الاله» واتخذوها عاصمة لهم و وطد سلطنتهم فيها «حمورابي»١٧١٠ - ١٦٧٠ ق.م . فاهتم بالفتوح و لكن موته عجل في انهيار الدولة .

الاشوريون :

أصلهم قطن شمالي بلاد الرافدين مزيج من شعوب غلب فيها العنصر السامي هم «الآشوريون».

داخل دولة حمورابي بالذات كانت العناصر الاشورية تهيء نفسها لدور فعال في تاريخ البلاد ، فأنشأ أحدهم :

سرجون الاول غير الاكادي منذ عام ١٧٧٥ ق . م . دولة اقتصرت في البدء على منطقتي «كردستان» و«الموصل» الحاليتين ، و أعلنت مدينة آشور ثم نينوى عاصمة لهذه الدولة ، لكن الغزوات الحثية التي قضت على بابل اجتاحت بنفس الوقت دولة آشور الفتية .

و ما انحسر الخطر الحتي حتى قام (تغلاّ ت فلاصّر) الاول بعيد تنظيم الدولة الآشورية و أعدها حتى استطاعت احتلال آسية الصغرى و فينيقيا و فلسطين و مصر .

الكلدانيون :

أصلهم قبائل سامية نزحت من بلاد (امّورو) حتى أواسط العراق و هناك عرفت باسم (كلدو) .

تكاثر الكلدانيون في بابل و عمد الآشوريون الي تعيين أحدهم حاكما على هذه المدينة .. و قامت دولة الكلدانيون على أنقاض دولة الآشوريين و ورثت عنها السيطرة على البلدان المجاورة أي سوريا و فلسطين و فينيقيا و مصر

أحيانا ، و أعاد الكلدانيون إلى بابل مجدها الغابر وازدهرت أيام نبوخذ نصر، و لكن دولة الكلدانيون هذه لم تعمر قرنا ، ففي عام ٥٣٩ ق . م . ضمها (قوروش) الفارسي إلى دولته و بزوال الدولة الكلدانية فقدت بلاد ما بين النهرين استقلالها و دخلت في مرحلة انحطاط و انهارت حضارتها .

ديانة ما بين النهرين و فنونها :

لقد سبق القول أنهم كمن سواهم كانوا يعبدون آلهة شتى، و هنا نجدهم يعتقدون (السومريون) بأن النفس لا تموت، فهي لدى مفارقتها الجسد تذهب الي أصقاع لا ترجع منها ، و هنا لك تستمر في حياة بائسة فقيرة إلى الامل، و حرصوا أن يضعوا مع الميت تمثالا شديد الشبه به ، و كذلك كل ما يعوزه في حياته الثانية مثل مصاغه و مقتنياته الثمينة، و الحضارة السومرية كانت حجر الاساس بالنسبة لديانات ما بين النهرين .

هنا نجد عقيدة الحياة بعد الموت بين السومريين و سواهم من الوثنيين، نجدها من جراء الديانات السماوية ، اذ ليس للبشر المتحلل عن وحي السماء سبيل للتعرف إلى حالته بعد الموت الا أنهم خلطوا بها خرافات وثنية فجمعوا بين الحق و الباطل .

الفنون :

لا يمكن الفصل بين الدين و الفن حيث الفن يعيش على خدمة العقائد .

إهتمّ الفنان بابراز معالم الوجه و تقاسيمه ، و تلك ضرورة دينية اذ الغاية من كل تمثال أن يمثل صاحبه في المعبد؛ لترضى الالهة عن صنعه .

الأبنية الدينية:

و هي كثيرة ومنها المعابد و المقابر و عرفت المعابد باسم (الزقورة) أقدمها ما بناه السومريون و أشهرها خرج بابل حيث عبد الاله (نبو) و تصميم الزقورة في الاصل من خمس طبقات نتدرجة يعلوها المعبد ليكون قريبا من السماء فيسهل الاتصال بالالهة.

و لقد كانت المعابد و الزقورات على قسط ضخم من الغني فتتلقى يوميا مئات الاضاحي و التقادم، ففي ارد مثلا كان نصيب الاله (ارنو) يوميا ستين خروفا و مائة و اربعين كيلا من الحنطة في أواني من الفضة و الذهب .

التأثيرات المتقابلة بين الاديان الالهية و الوثنية :

كما نرى ان هناك تأثيرات هامة من وحي السماء على الوثنين: من عقيدة الحياة بعد الموت و الحساب .. كذلك نرى آثارا وثنية بين الكثير من معتنقي الاديان السماوية و كتابات الوحي كالتالي :

ان الاله يسكن السماء، كما نجد ذلك في صلاة النصارى، وفي عدة نصوص توراتية و انجيلية، و أن له أبناء، و أنه صلب ضحية ذنوب عباده و دخل الجحيم، كما نرى بين المسيحيين، و أن الاله مركب من الثالوث المقدس كما الثالوثيون المسيحيون يعتقدون، و أن روح الإنسان تبقى بعد الموت و لكن بدنه لا يحيى، انما الروح هي التي تجزى، كما نجده في الانجيل، و ما إلى ذلك كما فصلناه في كاب عقائدنا فليراجع .

و لا نجد وحيا سماويا الا نشبت فيه من الخرافات الوثنية قليلا أم كثيرا، الا وحي القرآن ، القرآن فحسب، لا والروايات الاسلامية فانها تعرضت به الآيات والروايات الاسرائيلية و المسيحية .

فالقرآن اعتبارا بخلوده بقي محفوظا عن كل دس و تحريف و كيانه المتفاعل مع العقل و الواقع خير شاهد على عدم تحرفه.[1]

الفكر و العلوم :

خلفت شعوب ما بين النهرين الكثير من الآثار الفكرية، أحس السومريون بالحاجة إلى تدوين أفكارهم فوضعوا أسس كتابة أولبة أخذها عنهم

١. راجع المقارنات باب عدم تحريف القرآن .

(الاكاديون) ثم استكملوها فعرفت باسم الكتابة المسمارية لانها كانت تكتب بآلة دقيقة تشبه المسمار على ألواح طرينة من الدلغان، ثم تجفف في الشمس.

التشريع :

لم يجمع السومرين والاكاديون شرائعهم في قانون مدون. انما ينسب تدوين القانون إلى حمورابي، فقد اندفع الملك البابلي حمورابي تمثيلا للاله (مردوخ) على الارض و كمسؤول عن تنظيم البلاد ، ان يجمع ٢٨٢ مادة تشريعية اقتبسها من التقاليد و القوانين المعمول بها حتى أيامه، رعاية لملاءمتها لعصره، و المبدأ الاساسي في قانونه هو: الطبيقية و المعاملة بالمثل، انما بالمثل في نفس الطبقة حيث الميزة الطبقية كانت تمنع من المماثلة أمام القانون اذا كان المتداعيان مختلفي الطبقة؛ فمن قانون حمورابي - من قفأ عين رجل حر قفئت عينه و من قفأ عين مسكين او كسر ذراعة عرضه مثقالا من الفضة، و من كسر سن رجل حر كسرت سنه، و من كسر سن مسكين عوضه ثلث مثقال من الفضة .

أقول: وهنا ترى خلطا بين وحي السماء في قانون العدل و بين وحي الاستبداد البشري، فمن ناحية يقر العدل في المعاملة بالمثل، و من أخرى يفرق بين بني نوع الإنسان في نفس المعاملة، و نجد حق العدل في وحي السماء لا سيما في شريعة الاسلام انه يقضي على الطبقية في الحكم ، و تفريقه بين الذكر و الانثى في القصاص وفي الارث و أشباههما ليس الا وفق متطلبات كل في واقعه الفردي و الجماعي ، نختصرها في الطبقية الخلقية او الوضعية دون الاختلاقية ، فالطبقية الخلقية او الوضعية العادلة تسمح بفرق ما بين الطبقين ، و هو أمر بين أمرين ، لا قضاء على الطبقة الضعيفة بالمرة، و لا حط للعالية خلقيا او وضعيا ، انما عدل في الطبقتين و بينهما .

فاذا نظرنا إلى واقع الاناث - الواقع الفعلي، و الشأني - نجدها أقل قيمة في الناحية العقلية و الجسمية في كلتا المرحلتين ، فبامكان رجل واحد أن ينتج عشرات الاولاد في سنة واحدة . و ليس بامكان امرأة واحدة أن تنتج الا واحدا

او إلى الخمسة شاذا. و بهذا ترتفع قيمة الذكر - البدنيـة - علـى الانثـى كـذلك ، و ان كانا في الطاقة العقلية على سواء .

كذلك الانثى في البيئة الاسلامية مـثلا، تأخـذ ولا تعطـي الا نـادرا ، تأخـذ مـن الوالد و الزوج و الاولاد نفقة و صـداقا ، و لكـن الـذكر فـي كـل هـذه المراحـل ، يعطي ، فحسب اختلاف التكليف فـي الانفـاق يقـرر الاسـلام ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ (٤: ١١) و لو أعطينا النظر حقه لوجدنا أنه روعي هنا جانب الانثى أكثـر من الذكر.[١]

الطب :

لـم يستقل الطب عن الدين كعلم قائم بذاته، فالكهنة هم الأطباء يتشـددون فـي الحفاظ على سر المهنة، كانت معلوماتهم في البدء أولية و ما يعجزون عنه علميـا يضعون له تفاسير و أدوية روحية، فالمريض هو مرتكب خطيئة تخلى عنه الاله، و دخل الشيطان جسمه و أقام يعذبه فيستدعي الكاهن لشـفائه و يصـف لـه عقـاقير مرة المذاق ليتضايق منها الشيطان فيغادر جسد المريض.

و البابليون فيما بعد لم يكتنفوا بهذا التفسير الا حين تعييهم الحيلة و قد بذلوا مجهودا كبيرا لتخليص الطب من هذه الذهنية المجـردة حتـى أضـحت وسـائلهم شبه علمية.

و كلا الطب و الجراحة هما من اختصاص الالهـة (بـو) التـي لا تخطـئ، فانمـا الخطأ هو الوسيط البشري أي الطبيب.

أقول : .. و لكن وحي السماء يفصل بين مرض الروح و الجسم : فالاول نتيجـة العصيان، و الثاني لعلل طبيعية سواء أكانـت مـن سـوء تصـرف الإنسـان جهـلا او

١. فلو كان الارث ثلاثون الفا و الـوارث ذكـر و انثـى . نـرى الانثـى تحفـظ نصـيبها اذ لا تحتاجهـا الا نادرا ، واما الذكر فهو يـدفع النصـف مـن نصـيبه علـى الاقـل لشـئون زواجـه ، و تشـاركه زوجتـه فـي النصف الآخر ، و النتيجة ان الانثي بقي لها نصيبها و اشتركت مع نصيب الذكر تأخـذ نصـفه تمامـا و النصف الآخر مشاركة ، و هذه كضابطة اكثرية لا عامة .

علما أو كان عقوبة عليه و امتحانا له فيما عمله من عصيان، و العلاج أيضا نوعان : علاج طبيعي باستعمال الادوية حسب تجويز الطبيب الحاذق، و التجاء إلى الله تعالى ان يعافيه، و يجعل أثرا حاسما في دوائه. و الصيغة المختصرة لوحي السماء هنا ((العلم و علمان علم الاديان و علم الابدان)).

و لعل من دوافع المصريين في تحريرهم التطبيب اللاهوتي اضافة إلى ضرورة الحاجة هو التأثر من وحي السماء الفاصل بين المرضين.

المجتمع و الجيش:

هنا بعد الملك و هورا من المجتمع نجد طبقات ثلاث : ١- الاحرار ٢- المساكين ٣- العبيد؛ فالملك هو صاحب السلطة الزمنية يمثل الاله على الارض دون أن يتخذ صفة الالوهية، تختاره الالهة بواسطة الكهنة و استشارة الكهنة واجب عند انتقال الحكم و هذة الاستشارة تفسح المجال للخروج على مبدء الوراثة في العرش فقد يتحزب الكاهن لشخص دون الآخر مبررين ذلك بالاستجابة لمشيئة الالهة. و الاحرار - هم العنصر الرئيسي و هم يملكون ان أزواجهم يسمح لهم ببيعهم لفترة لا تتجاوز ثلاثة أعوام و يحصل هذا عند التقصير عن وفاء دين. و المساكين (مشكينو) أي الفقراء يعيشون في فاقة و العوز أحيانا يدفعهم إلى بيع أنفسهم فينحدرون إلى طبقة العبيد - لا فراغ في حياتهم اليومية بل عمل مستمر في الحقول و الري و العناية بالاقنية.

و العبيد هم الطبقة الدنيا و الأخيرة ملك لاسيادهم لا حرية لهم - وصلوا إلى هذا الوضع نتيجة لاحد أمرين: بعضهم ولد عبدا و البعض الآخر استعبد عن طريق الاسر او البيع و هم على أية حال يفقدون صفتهم الإنسانية ليعاملوا كالسلعة او كالحيوان.

هذه هي الطبقية الظالمة اللاإنسانية في ما بين النهرين، ثم نرى وحي السماء ولاسيما في الشريعة الاسلامية يحرر الإنسان عن عبادة غير الله و يقرر تضامنا أخويا بين الطبقات دون ان يقضي على الطبقية اطلاقا او ان يمضيها اطلاقا بل

وسط عدل بين الافراط و التفريط، فيعطى كل ذي حق حقه المشروع و يفرض على من يفضل عنده المال ان ينفق على الآخرين إلى حيث لايبقى في البيئة الاسلامية أي فقير يموت جوعا او يضطر إلى بيع نفسه حيث يدر على العجزة و القاصرين من بيت المال و من الضرائب المستقيمة و سواها.

فهناك فى المجتمع الاسلامي تضامن في كافة المجالات - مفروض على كل مسلم حسب طاقته - تضامن ثقافي و فكري و اقتصادي و سياسي - و تضامن في الثقافة الدينية- إلى حيث لا تتنازع الطبقات رغم وجودها اذ تطبق كل طبقة واجبها الإنساني والاسلامي تجاه الآخرين.

الرقية في نظر الاسلام:

و الرق في الاسلام لا يعني عبودية إنسان لإنسان و انما يعنى النظام الثقافي الاجباري، لذلك لا يمسح للحر المسلم ان يبيع نفسه و لا لاحد ان يبتاعه، و انما يسمح استعباد أسرى الحرب - الكفار- و في استرقاقهم فوائد عامة للذين يسترقونهم و للرقيق أنفسهم ايضاً.

أما للاولين فالامان عن شرهم حالة كفرهم اذا بقوا أحرارا، حيث الحرية للاسرى في بلاد الاسلام لايؤمن فيها من افسادهم الديني او السياسي او الاقتصادي، فدفعا لافسادهم- بدل أن يقتلوا او يخلدوا في السجن - بسترقهم المسلمون لكي يثقفوهم علميا و عمليا، و هم ازاء ذلك يملكون أعمالهم لصالح الطرفين. و أما للرقيق أنفسهم فلكي يهتدوا إلى الله، إليد الدين الحق بما يرون و يسمعون من المسلمين في بيوتهم و ضمن معاشرتهم معهم أيا كان.

لذلك كله لايجوز تحرير العبد الكافر بأي وجه من الوجوه حتي يؤمن و لكنه يجوز تحرير العبد اذا آمن، و يستحب أكيدا و قد يجب : يجب في موارد عدة من الكفارات و الديات ، و يجب أيضا من باب الزكاة ((وفي الرقاب)) و كذلك اذا أراد الرق المؤمن ان يشترة نفسه أقساطا أو نقدا المعبر عنه فى الفقه بالمكاتب

بعضا أو كلا، أن يتحرر تدريجيا بمقدار ما يدفع من قيمته، او يتحرر في ختام ايفائه القيمة حسب القرار.

و إنما لم يفرض الاسلام تحرير الرقيق المؤمنين دون شرط حفاظا على الناحية الاقتصادية، فان المسلم اذا اشترى رقا كافرا ثم آمن عنده، اذا يصبح فرض تحريره دون شرط فضلا على الرق فقط اضرارا على مالكه، و لكنما الاسلام يراعي الجانبين. ثم في حالة الرق أيضا ليست للمالك حرية التصرف في الرق، انما استخدامه للعمل دون العسر و الحرج كما يستخدم الخادم الحر سواء، دون ان يملك قتله او ضربه الا لمبرر قانوني كما في الحر.

اذا فالرقية في الاسلام لا تعني الا فرض الثقافة الاسلامية على غير المسلم، كما الطالب رق للانظمة المدرسية، و الا رعاية الاقتصاد العادل، دون رقية القرون الوسطى - الفردية الظالمة - و دون الرقية الجماعية الحاضرة في عصر قرن الفضاء: أن تسترق شعوب اطلاقا لانهم ضعاف، فيستعبدون و يستعمرون و يستثمرون و يعامل معهم ما لا يعامل مع أي حيوان؛ ففي الوقت الذي يقررون جمعيات حماية الحيوانات لا تراعي بينهم و لا تحمى حقوق الإنسان و ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ (٥٣: ٢٢).

كيف يجب ان نعاشر الرقيق:

نرى الاسلام يأمر السادة ان يعاملوا الرقيق كأحسن ما يعامل مع أي إنسان حر، فكما قرر حقوقا لذوي القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل، كذلك يخص الرقاب بنصيب من الانفاقات العامة ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ «وَفِي الرِّقَابِ﴾ (٢: ١٧٧).

يقول «و في الرقاب» و لا يقول للرقاب دلالة على الامر باتيان المال في سبيلهم، سبيل تحريرهم، و هذه مرة، ثم اذا كانوا من أحد الصنوف المذكورين

في الآية يستحقون مرة ثانية ما يستحقه حسب صنفه : ان كان من ذوي القربى او اليتامي او المساكين او ابن السبيل او السائلين.

و كذلك يعتبر الرقيق من مصاريف الزكاة و هي من الانفاقات الخاصة الواجبة : ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٩:٦٠).

هنا يقدم «و في الرقاب» على الغارمين - لان الغارم من غرم المال، و الرقاب غرموا أنفسهم فهم أحرى أن يبذل في سبيل تحريرهم الزكاة.. و قدموا على سبيل الله أيضا، اعتبارا ان تحريرهم من أفضل سبيل الله أحيانا، و على ابن السبيل أيضا لانه و ان لا يجد سبيلا إلى مال يدبر به حاله و لكنه يملك نفسه دون الرقيق.

و ثم اذا حرر الرق و كان من المذكورين في آية الزكاة كان له حق آخر اضافة إلى ما استوفاه من حق الحرية.

ثم نرى ان كفارة قتل الخطإ و كفارة الصوم و كفارة مظاهرة النساء و أمثالها من كفارات عديدة، نرى انها تصرف في الرقاب، خاصة بهم او أنهم من مصارفها ((لا يؤاخذكم الله باللغو...) (٢:٢٥٥). ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ...﴾ (٤:٩٢). ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ (٣: ٥٨).

هذه و أضرابها، و ان كانت خاصة بالرقيق الذين آمنوا اذ كمل دورهم التربوي الاسلامي في بيوت سادتهم المسلمين فليأخذ حريتهم بشتى الوسائل.

ثم نرى الاسلام كيف يأمر السادة أن يعاشروا رقيقهم مسلمين كانوا أم غير مسلمين.

.و لحد أمر بالزواج معهم و ان يزوجوا من الاحرار دون ملاحظة الاختصاصية في باب الزواج ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٤:٣٢).

و كما يأمر بالاحسان إلى الوالدين و من يتلوهما، كذلك يأمر بالاحسان إلى الارقاء : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ (٣٦:٤).

كذلك و ينهي عن ظلمهم و حملهم على ما لايطيقون و كما عن الرسول الاقدس صلى الله عليه وآله : من لطم مملوكه أو ضربه فكفّارته عتقة.

و قال صلى الله عليه وآله يخاطب أحد أصحابه اذ عيّر مسلما كأنه ابن أمة : أ عيرته بأمة؟ انك امرء فيك جاهلية، اخوانكم خولكم (عبيدكم) جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل و ليبلسه مما يابس و لا تكلفوهم ما يفلّهم فان كلفتموهم فأعينوهم.

و قال صلى الله عليه وآله : إتقوا الله فيما ملكت أيمانكم، أطعموهم مما تأكلون و أكسوهم ممّا تلبسون و لاتكلّفوهم من العمل ما لايطيقون و لاتعذبوا خلق الله؛ فان الله ملككم إيّاهم و لو شاء لملكهم إيّاكم، لا يدخل الجنة.و سيئى الملكة.

و يسأله صلى الله عليه وآله عبدالله بن عمر قائلا : يا رسول الله صلى الله عليه وآله ! كم نعفو عن الخادم اذا أساء؟ فصمت صلى الله عليه وآله برهة ثم قال : أعفو عن الخادم كل يوم سبعين مرة.

و قال صلى الله عليه وآله : إذا أتى أحدكم خادمه بطعام فليجلسه و ليأكل معه، كلّكم راع و كلّكم مسؤول عن رعيته.

هذه قلة من كثرة من الأخلاق الإسلامية تجاه الارقاء؛ فهل من الإنصاف أن يتهم الإسلام أنه شريعة الإستعباد، رغم أنه شريعة التحرير؛ فلا يعني من الرق الا التثقيف إجباريا للاسرى الكفرة في بيوت المسلمين، و الا التجنب عن الفوضى السياسية و الدينية لو بقوا أحرارا، و الفوضى الإقتصادية لو حرروا دون شروط، و الا كل خير لصالح الجماعة المسلمة و سواهم ولكن العدو اللدود أعمى، يرمي حيث يشتهي و لا يدري. يأخذ على الاسلام أنه شريعة الرق ـ رغم انه كان

قبل الاسلام بين اليهود و النصارى بحالة فظيعة جدا و انما الاسلام عد لها و أخيرا قضى عليها، الا فيما يتوجب على المسلمين من التثقيف لاسرى الحرب..

... نرجع إلى النظام الطبقي لـ: بين النهرين.

ثم نرى الاحرار من هؤلاء الطبقات الثلاث يقتسمون إلى: الكهنة و الكتبة و الموظفين و الجيش و المالكين و التجار.

فللكهنة السلطة الكبيرة منذ أيام السومريين، فالملك السومري هو الكاهن نفسه، و مع الفتوح طغت الصبغة الزمنية دون ان تمحى الصبغة الروحية، و أخذت سلطة رجال الدين تتضاعف نتيجة لاعتقاد الناس بالسحر و التنجيم و الطلاسم و الرقي، ولكن الملك هو الذي يمثل الاله على الارض و هو رئيس الكهنة.

و هنا نجد خلطا بين الغث و السمين من حق السلطة، فكون السلطة و الحكم حقا لرجال الدين و أن الملك يحق لهم ، ذلك تمثيلا لحكم الله و سلطانه ، هذا حق يقره وحي السماء

و شيء آخر يعارضه الوحي هو كون السلطة للسطان أيا كان إلى حيث اختلفوا له روايات دينية كمثل «السلطان ظل الله في الارض».

فخير الخير هو الجمع بين السلطة الزمنية، و السلطة الروحية في قدرة واحدة او طبقة واحدة، يمثلون حكم الله في عباده و بلاده. و شر الشر هو هكذا جمع للزعماء الاشرار الظالمين كما يدعيه البعض من سلاطين عصرنا و في بلادنا.

ثم الخلط بين الحق و الباطل نجده في التفريق بين السلطتين : الزمنية و الدينية، فلكل أهل لا يحق له أن يتدخّل في الآخر.

و شرّ من الكل أن تستعبد السلطة الروحية للسلطة الزمنية، و هو اتباع رجال الدين لسلطان السياسة الشريرة يأتمرون بأمره و يتبعون هواه كما يريد، و

حينذاك لا يعني من السلطة الروحية الا روتينية لفظية ليس ورائها معنى صالح، انما تخبي الشر تحت ستار الخير..[1]

الحضارة الفارسية : المجتمع الفارسي:

الملك و يلقب ملك الملوك او الملك الاكبر (شاهنشاه) اختير دائماً من أسرة الاخميديين و هي زعيمة عشائر فرس، يتولى الحكم بالوراثة الا في حالات استثنائية، و لم يتخذ الملك صفة الاله بخلاف مصر، و لما ضمت دولتهم ما بين النهرين اعتبر نفسه ممثلا للاله مردوخ، و لما أخضعوا مصر اعتبر نفسه ممثلا للاله (امون - رع) لا - بل أمر أمر بأن تقام أنصاب تمثله متعبدا للاله (امون-رع).

و مقابل اعراض الملك عن صفة الالهية رأى ان يوطد سلطاته الزمنية، فأصبح مطلق الصلاحية و التصرف و انحجب عن الناس. فلا يظهر الا في المناسبات الهامة، لا يجروء أحد على المثول دون أذنه، لا يستقر في عاصمة دائمة، بل يتنقل بين قصوره في البلاد.

.. أقول: هذه الشاهنشاهية الممثلة للاله على حد تعبير الفرس، هذه خليطة من وحي السماء و ألوهية الارض.

أما وحي السماء فباعتبار ان الملوك واجبهم الاول و الاخير أن يمثلوا الاله في العدل و الرحمة بين الرعية إلى حيث قيل عنهم : «السلطان ظل الله في الارض يأوي إليه كل مظلوم» و ملوك الجور الطغاة استفادوا من أول هذا الحديث و تركوا آخره، رغم أنهم ظلال الشيطان في الارض يأوي إليهم كل شيطان رجيم.

أما ألوهية الارض فاعتبارا باستقرار السلطة الوارثية فيهم، دون أي شرط و قيد كما الله سلطان اطلاقا، فهم اعتبروا أنفسهم الهة الارض، يملكون الارض و من عليها، و على الناس أن يعبدوهم دون قيد و شرط.

---

١. راجع كتابنا : علي و الحاكمون.

و على أية حال فوحي السماء لا يسمح لاحد ان يسيطر على الشعوب هكذا، و لا ان يتسمى ملك الملوك كما عن الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وآله ((ان أخنع اسم و أشنعه من يسمي نفسه ملك الملوك - لا ملك الملوك الا الله)).

و هكذا كل من يريد تحاكما على الناس و تهكما و علوا في الارض كما يشاء فهو من آلهة الارض.

أما الذين لايهدفون الا تسليط الحكم الالهي؛ فهم عبدة الإله الحق : ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذينَ لا يُريدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقين﴾ (٢٨: ٨٣).

..هؤلاء ملوك الفرس: آلهة الارض الطواغيت و يليهم النبلاء و هم موظفو الإدارة و رجال البلاط و زعماء العشائر و تنتقل سلطتهم بالإرث، و قد احترم الملوك سلطة هؤلاء النبلاء و تركوا لهم حرية التصرف فاستفادوا من انحجاب الملوك و عدم اكترائهم للقضايا الثانوية.

اقول: فقد كانت السلطة الشاهنشاهية ببلاطها و موظفيها آلهة الارض على مختلف درجاتهم، تنتقل الالوهية فيما بينهم ميراثا دون اية شروط مؤهلة و إلى زماننا هذا، و الديانات الالهية و لا سيما الاسلام تقضي على الطواغيت مهما كانوا و اينما كانوا، و كما في الكثير من الايات القرآنية، انها تقضي على طاعة و عبادة الطواغيت و تحصرها بالله الواحد ولاتشرك في ملكه و حكمه حتى الانبياء فضلا عن سواهم، فانما الحكم لله و للحكام تنفيذ حكم الله تعالى لا سواه.

الشاهنشاهية الايرانية كانت طوال زمن احدى الامبراطوريتين العالميتين المسيطرتين على الكرة الارضية - لكنّها، رغم عددها و عددها سقطت على أيدي المسلمين و هم قلة في العدد و العدد، إنّما لامر واحد هو إنهيار الأخلاق و الإنجذاب إلى الشهوات في كافة صورة الحياة..لذلك تغلب عليها المسلمون و جعلوا من هذه الإمبراطورية بلداً اسلامياً... و من عمق تأثير الإسلام في هذا البلد إنّ لغة الفرس منذ بزوغ فجر الإسلام فيها - اصبحت خليطة من اللغة

العربية و الفارسية و أنّما بلاء هذا البلد الإسلامي إرتجاعها إلى الشاهنشاهية الوارثية، و تحكم السلطات المستبدة عليها.

الحضارة الفينيقية:

فينيقيا منطقة ساحلية تمتد من شمال (رأس شمرا) على الشاطيء السوري حتى جبل الكرمل في الجنوب و في الشرق تحدها سلسلة جبال لبنان الغربية، و أمّا في الغرب فلها واجهة بحرية عريضة كان لها الفضل فى إزدهار الحضارة الفينيقية.

و البحر جعل من فينيقيا بلادا تحتاج إلى ها الدول الكبرى في ما بين النهرين و فارس و مصر. عرف الساحل الفينيقة خمسا و عشرين مدينة معظمها قرى كبيرة و أشهرها جبال جبيل و صيدون و صور و أوغاريت و بيروت. تاريخ فينيقيا حقبات متقطعة من الولاء و التمرد تخللها فترة من الاستقلال الفعلي بدأت مع الالف الاول قبل الميلاد..

ديانة الفينيقيين:

سبق أنّ لهم آلهة كما كانت لسائر الاقوام الوثنية آلهة مختلفة المراتب و البيئات.

و هنا تقتسم الآلهة المعبودة طوال القرون إلى ثلاثة:

١- آلهة هي فى الحقيقة عبدة لمؤلهيها يصنعون بها ما يشاؤون، ينحتونها و يقرونها مقر الالوهية كما يشاؤون في درجات الالوهة، ينصبونها و يعزلونها و يعبدونها كما يريدون، آلهة عاجزة لايستطيعون نصرهم و هم لهم جند محضرمون و القرآن يندد في مئات الآيات بهكذا آلهة.

٢- و آلهة هي القوى المرموزة المجهولة المتهكمة على الكون، و هي إن كانت فوق الإنسان في الطاقات - في زعم الإنسان - الا أنّ عبادتها ليست إلا عبادة المجهول المزعوم من طاقات الكون.

٣- إله واحد معروف بكل الأدلة و الآيات، بيده ناصية كل شئ هم خلق الكون بطاقاته و هو علة العلل و سبب الاسباب.

والديانات الالهية لها الفكرة الحضارية و التقدمية في التأليه.

فإنّما تخرج الإنسان من ظلمات عبادة عبيده و الاصنام المنحوتة بيده، تخرجه عن ذل عبادة عبيده، و تخرجه أيضاً عن عبادة المجهول المزعوم من الطاقات المرموزة تخرجه عن هذه الظلمات العامدة و الجاهلة إلى عبادة إله واحد يدل على وجوده و وحدته الكون كلّه.

النظام السياسي الفينيقي:

النظام الملكي:

ألفت كل مدينة دولة قائمة بذاتها، على رأسها ملك و خضع التنظيم السياسي لاعراف و تقاليد و عادات اكتسبت صفة الدستور المدرن.

إنّ الملكية الفينيقية كانت دستورية لااستبدادية (بخلاف الفرس) بمعنى أنّ قرارات الملك يجب أن تقترن بموافقة مجلس الشيوخ، فما كانت الشروط المفروض توفرها في هذا الملك؟ و ما هي حدودها؟

الملك في أي المدن الفينيقية يتحدر من سلالة محترمة بل مقدسة، و يحافظ على إحترام الناس بما يبدر منه من تصرفات تجعله مستحقا للتقدير و رمزاً للدولة، و هذا يفرض مسؤوليات ضخمة على الملك أن يضطلع بها؛ فهو في الوقت عينه مسؤول عن حماية المدينة يتقدم جيشه في القتال و هو قائد الاسطول، و هو الذي يسهر على الأمن و يقيم العدل و يؤدي الحساب أمام الآلهة و مجلس الشيوخ في آن واحد؛ فاذا قصر عزل.

و مثل هذه الكفاءة لا تتوفر دائماً في بكر العائلة، لذا و ان يكن العرش وراثياً؛ فليس من الضروري أن ينصب الإبن البكر؛ فأعطي الملك حق اختيار وريثه من بين أبنائه الذكور، و إن كان قاصراً اضطلعت والدته بمسؤولية الوصاية حتى يكبر.

النظام الجمهوري:

و طبيعي أيضاً أن لا تجتمع هذه الصفات في الوريث أيّا كان؛ فيقتضي الظرف أن تلجأ المدينة إلى شخص آخر غريب فيه الكفاءات؛ لذلك يتفق المؤرخون بأنّ الإنتقال من النظام الملكي إلى النظام الجمهوري قد حدث في ظروف طبيعية.

اقول: و ليس بقاء النظام الملكي في بعض البلاد و حتى الان الا خروجا عما تقتضيه الظروف الطبيعية سياسية و اقتصادية و اجتماعية، و ارتجاعا إلى الجاهلية الاولى بقوة السيف و النار.

انّ تدريجية النظام، مع الحفاظ على ضرورة السلطة الحاكمة في كل نظام، أنّها تحكم اولاً و قبل إستكمال الإجتماعات تحكم بالنظام الملكي الاستبدادي الوراثي، ثم تعديلاً له فراراً عن الظلم الناتج عن هكذا نظام، إلى الملكي الدستوري، ثم تكميلاً له و فراراً عن فقر اللاكفاءة في الوارث، إلى النظام الجمهوري.

و من كل هذه التطورات التصاعدية نستلم أنّ الإنسان كائناً من كان إنّما يفحص عن نظام عادل يؤتي كلّ ذي حق حقّه، وهذا النداء الفطرية العادلة، المتأيدة المفروضة بوحي السماء، إنّما نداء الحق الصراح، و دراسة تاريخ الأنبياء عليهم السلام تعرفنا كيف كانوا يوجهون الشعوب إلى حكم الله تعالى، و إن الحاكم - إيّا كان - واجبه تنفيذ حكم الله دون أن يرتأي رأيا من عند نفسه.

نرى طوال التاريخ صفين متعارضين، صف رجالات الوحي و صف أذناب الشياطين؛ فالاولون يحاولون حصر الحكم بالله و بمن يمثل الحكم الحق، والآخرون يحاولون الحكم على الشعوب بالسيف و النار؛ فكل تصاعدة إلى الحكم الحق، أنّما هي من وحي السماء كما و هي من نداء الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها.

فأخيراً - و بعد النظام الدستوري الفينيقي - إنتقل إلى النظام الجمهوري، و قد حدث في ظروف طبيعية دونما ثورة أو نزاعات إجتماعية و حزبية، بل ثمة ظروف إقتصادية و سياسية و إجتماعية قضت بأن ينتخب بعض الأشخاص ليتولوا

شؤون المدينة؛ فعرفوا باسم القضاة (شفاتيم) هكذا بدأ النظام الجمهوري الديموقراطي في صور عام ٥٦٤ ق م.

الاستقرار السياسي:

لقد دام هذا النظام مئات السنين دون ان يتعرض لأزمات، و انما مرجعه الازدهار الاقتصادي في الدرجة الاولى، فقد عرف المجتمع فئة من الاثرياء هي طبقة الاشراف، و فئة ثانية ليست من الفقراء بل من الميسورين، و قد دأب كل من الملك (رئيس الجمهور) و الحكام على تأمين مصلحة المدينة التي هي في الوقت ذاته مصلحتهم الخاصة، و اذا شعروا بأن فئة من مجتمعهم تشكو العوز شجعوها على الهجرة إلى المستعمرات لتحسن اوضاعها الاقتصادية، فحققوا بذلك نوعا من العدالة الاجتماعية.

هذا و ان الديانات الالهية تدعو إلى تحقيق العدالة الواقعية، رضي بها الاكثرية أم لم يرضوا بها، فوحي السماء لا يرضى حكم الفرد على الشعب، و لا حكم الشعب على الشعب، انما حكم الله على العباد ليس الا.

النظام الطبقي الفينيقي:

١-الملك و العائلة الملكية

٢-النبلاء و هم اكبر الاغنياء

٣-الكهانيم و الكهنة

٤- القادة العسكريون

٥- العامة و هم بين البور جوازيين

٦- و العمال

٧- و الفلاحين

٨- و العبيد.

و لقد سيطرت المادة على ذهنية الفينيقيين فغدت قاعدة ثابتة في تنظيمهم الاجتماعي.

هـذا ولكـن وحـي السـماء ينكـر الطبقـات، لا واقعهـا اطلاقـا، انمـا فواصـلها بالميزات المادية، فقد جعل الميزة الاولى و الاخيرة بين النـاس بـالتقوى، ولكـن هذه الميزة ايضا لا تجعل استبدادية و استغلالية للمتقين، انمـا كرامـة عنـد الله و عند الناس.

أجل، لا طبقية في الديانات الإلهية، حيث النظام الروحي و النظـام الإقتصـادي يجعلان من مختلف الطبقات و الأفراد أمة واحـدة كشـخص واحـد، يـرحم قويـه ضعيفه؛ و لايظلمـه، و يسـاعد ضـعيفه قويـه؛ فلايثـور عليـه، و يعـين غنيـه فقيـره؛ فيعاون فقيره غنيه، فيعلم عالمه جاهله ؛فيخضع جاهله لعالمه، طبقـات متضـامنة متعاونة مواسية، رغم إختلاف طاقاتها المادية و المعنوية.

فالقضاء على واقع الطبقية قضاء على مختلف الطبقات و منتجاتها و هذا ظلـم على الافراد و تجميد للاستعدادات.

و إقرار الطبقات على الطبقية المستقلة المسـتغلة الظالمـة ظلـم و قضـاء علـى الفقراء و المظلومين، و هدم للكيـان الاجتمـاعي الإنسـاني؛ فـالامر بـين الامـرين إنّما هو القضاء على إضرار الطبقيـة لا علـى واقعهـا، و وحـي السـماء وسـط بـين النظامين، الشيوعي و الرأسمالي.

فلايعتبر للأفراد إستقلالا يصطدم و حريـة و حيـاة الاخـرين، و لا يجعلهـم مـن ضمن الاجتماع ليست لهم حرية العمل و حرية التصرف في منتجاتـه، بـل الفـرد ضمن الاجتماع و الاجتماع للافراد؛ ففي حـين يقـر المالكيـة الشخصـية يفـرض على الاشخاص المالكين اعانة المعوزين من افراد و من مجتمعات.

فالدولة - مثلا في نظر الاسلام- ليست هي الكـل- و لا الافـراد هـم الكـل، انمـا الدولة خادمة للافـراد كمـا الافـراد تخـدم فـي مصـالح الدولـة الاسـلامية، و هـذه التضامنية بين الدولة و الشـعب و بـين الطبقـات الشـعب تجعـل عدالـة واقعيـة و مدنية فاضلة إنسانية على ضـوء الشـريعة الالهيـة؛ اذا فـلا شـيوعية و لا رأسـمإلية، انما اسلامية عادلة، و قد يأتيكم قول فصل في مقارنات الفكر الاقتصادية.

الحضارة الاغريقية (اليونانية)

المجتمع : إنّ المجتمع اليوناني كان ثلاث طبقات:

المواطنون : و عددهم قليل نسبيا (أربعون ألفاً) و هم أغنياء يستأثرون بالسلطة والنفوذ، متساوون في الملكية، أما النفوذ فرهن بالعائلات العريقة.

العامة: و هم ضغار الملاكين يعملون بأنفسهم و أحياناً يعتمدون على العبيد و أنّما أملاكهم فقيرة بعيدة لا تكاد تكفيهم، ترهقهم الضرائب و تخف عنهم وطأة الخدمة العسكرية.

العبيد : و هم السواد الاعظم، يقيمون على خدمة المواطنين و العامة، حصّتهم النزر إلى سير من الغلال، لايشبعون في معظم الحالات، و يحق لسيد العبد أن يبيعه أو يقتله.

اقول: و هكذا طبقية ظالمة منفصلة ترفضها الديانات الإلهية كما يظهر من الدراسة الصحيحة لكتاباتها الإلهامية.

خطر الفلسفة على الدين؟

إنّ الدين الاغريقي - الوثني - أصبح في خطر العقليين، فشك الكثيرون من عقلاء الاغريق بدياناتهم و معتقداتهم؛ فسقراط مثلا دأب على تجاهل الالهة، و جمع فيثاغورس و أفلاطون بين الفلسفة و الدين و شددا على قضية خلود النفس ليحثا الناس على حسن السيرة و الأخلاق و سخر يوريبيدس في مسر حياته من الالهة و انتهى الأمر بأن قضت الفلسفة دون عمد على ركائز هذا الدين المشترك.

و السبب في ذلك أنّ ذهنية الاغريق لم تصور الآلهة في مظهر قدسي بعيد عن المفهوم البشري - رغم مصر و بلاد ما بين النهرين- فما الإله الا صورة مكبرة عن الإنسان، خاضع للحتمية، عاجز عن إعطاء تعليل مقبول لمصير الإنسان بعد موته؛ فانصرف المتشككون إلى المنطق و الفلسفة محاولين إيجاد التفسيرات حتى إذا أنكر الفكر صواب الديانة لم يتردّدوا في التصدي للالهة و السخر منها.

هؤلاء الفلاسفة و المنطقيون الاغريقيون استوحوا تحللهم عن الآلهة من الفطرة و العقلية الإنسانية المتأيدة بوحي السماء، الذي يحرض الإنسان طوال

التاريخ الرسالي إلى التعقل و التفكير و وصلوا اخيراً إلى فكرة توحيد الإله المجرّد عن الكيان المادي.

و ما العقلية و الفلسفة الاغريقية الا نتيجة الإلتجاء إلى وحي السماء و هذه الحضارة العقلية منسبكة من رجالات الوحي طوال التاريخ.

و هذه خرافة من القول و زور أنّ الفلسفة الإسلامية ترجمة عن الفلسفة الاغريقية، فإنّنا لانؤمن بالفلسفة الاغريقية تماماً؛ لأنّ فيها إنحرافات كما فيها حقائق، و الفلسفة الإسلامية المستفادة من الكتاب و السنة لاتضاهيها أيّة فلسفة بشرية، أنها أمّ الفلسفة، دون مزج بالفكرة البشرية، أنّها من وحي السماء خالصة عن شوائب الأوهام و الأخطاء البشرية، أنّها في حصن رصين متين لاينقض، أبدية خالدة، كلّما تقدم العقل و العلم تقدمت و إزدهرت أكثر و أكثر.[1]

ساعة برز أدب اليونان كان الفكر من مصادر وحي هذا الادب، و الادباء كانوا من المفكرين؛ فشغفوا بتعليل الأشياء و التفتيش عن الحقيقة و السعي للمعرفة لأنّ ديانتهم (الوثنية) لم تضمن الاستقرار للقلق النفسي.

طاليس:

نشأت المحاولات الفكرية الأولى في ايونية فبرز ((طاليس)) الذي رد الكون إلى أصل مائي، و لم تكن هذه الفكرة الا من وحي السماء و كما في القرآن ﴿وَهُوَ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ في سِتَّةِ أَيّامٍ وَ كانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ﴾ (هود ١١ : ٧)[2] يعني بالماء المادة الأولية المتطورة إلى مختلف الذرات و العناصر، لا الماء المعروف عندنا؛ فإنّه أيضاً من ذلك الأصل المعبّر عنه في لسان الوحي بالماء؛ لانه يشبهه من حيث مشابهة الأجزاء و مسانختها.

---

١. راجع كتابنا ((حوار)).

٢. راجع كتابنا المقارنات و السماوات و الارض في نظر القرآن.

سقراط : (٣٩٩ –٤٦٩ ق.م.)

ثم نرى سقراط فقيادة العقل و المنطق جعله أخطر الأشخاص على الدين و الآلهة، و إنتقاداته الدائمة جمعت حوله عدداً ضخماً من المشككين و حقد عليه الحاكم انتيوس، لأنّ ابنه تبع سقراط فوجهت إليه التهمة التالية:

«ان سقراط مذنب، لأنّه لا يعترف بالآلهة التي تعترف بها الدولة، بل يدخل فيها كائنات شيطانية، و أنّه مذنب كذلك، لأنّه أفسد الشباب» و حكم عليه بالإعدام و لكن من حاكموه ندموا في النهاية.

و هكذا كان الأنبياء عليهم السلام هداة العقول إلى التقدم و بناة الحضارات الفكرية، كانوا يتهمون بالافساد الشذوذ والجنون؛ لأنّهم كانوا يحاربون الخرافات الجارفة و يحرضون على التعقل و التفكير في كافة الشؤون الحيوية.

أفلاطون (٣٤٧ – ٤٢٧ ق .م.):

أنّه أحب سقراط و رافقه حتى النهاية، و كان في الثامنة و العشرين عندما حكم على معلمه بالموت، دوّن أقوال سقراط؛ لان هذا الثرثار رفض أن يكتب، فصعب التمييز أحياناً بين أفكار الرجلين، و في كتاب الجمهورية تخيل أفلاطون أفضل المجتمعات و أسعدها، و تكلم عن عالم المثل؛ فقسم العالم إلى قسمين: علوي و سفلي، و اطلق على العلوي اسم عالم المعقول أو المثل، و المثل - على حد زعمه - حقائق أزلية ثابتة في كمية محدودة لاتفسد و لاتزول، و هي مبدأ الوجود و الفكر. أمّا العالم السفلي فيتضمّن أشياء متعددة و متغيرة لها أمثالها أو صورتها المجردة عن المحسوس في عالم المثل، و ما الإنسان الا الصورة الكلية الشاملة لخصائص أشياء العالم السفلي، و لم يقلّ أفلاطون عن سقراط في إنكار الدين الاغريق و آلهتهم إقترابا من الله.

أقول : و الفلسفة الأفلاطونية مع أنها إلهية، فيها الكثير من الإثباتات لوجود الله، مع ذلك لا تخلو عن بعض الإنحرافات كالقول بالحقائق الازلية الثابتة بجنب الأزلية الإلهية و لقد برهنا في فلسفتنا الإسلامية إنحصار الأزلية في الله.[1]

ارسطو أو أرسطوطاليس: (٣٢٢- ٣٨٤ ق.م.)

كانت تعاليمه ردة فعل ضد المثل، لأنّه كان يعلم ماشيا، و انطلق من الواقع ليصل إلى الله علة الوجود، فخالف بذلك افلاطون الذي شاء أن يطبق عالم المثل على الارض، و النفس عند ارسطو ملازمة للجسد مرتبطة به، فعارض بذلك نظرية التناسخ الفيثاغورثية و تعصب للمنطق، فوضع المنطق الشكلي، و رأى سعادة الإنسان فى الاتزان و التزام الموقف الوسط في كل القضايا و الامور.

ومع هؤلاء العمالقة الثلاث - سقراط و افلاطون و ارسطو- بلغت الفلسفة اليونانية ذروتها، و فاخر الاغريق بانهم انجبوا في عصر واحد ما عجزت عنه بقية العصور و الامم.

أقول: و هذه المفاخرة الصحيحة لحد مّا لو عني بالفلسفة الناتجة من الفكر البشري المربوط بوحي السماء، و لو عني بها الفلسفة الآلهية الخالصة لم يبق مجال لهؤلاء و لمن هو ارقى منهم بجنب فلسفة الوحي الموجودة في كتابات الوحي الخالصة عن التحريف كما القرآن اتى بفلسفات عريقة تحير العقول.

و الفلسفة البشرية مهما كانت راقية و عميقة لا تخلو من نواقض و انحرافات و وحي السماء هو الذي يهدي الفكر البشري و يفلسفه متحللا عن كل انحرافات و انجراف.

الحضارة الرومانية:

لفظة الرومان تعني في الاصل مدينة روما، و لما اصبحت روما عاصمة الدولة عنت هذه اللفظة كل سكان الدولة. كما ان مفهوم كلمة ايطإلى ا لم يشمل في البدء الا القسم الجنوبي منها فقط.

---

١. حوار بين الالهيين و الماديين.

و ايطالية الحالية تقسم إلى مناطق ثلاث: سهل لومبارديا، و يسقيه نهر ((البو)) في الشمال، ثم شبه الجزيرة و تحتل معظمها جبال ((الابنين)) ثم الجزر و أهمها ((صقيلية)) صلة الوصل بين ايطاليا و أفريقيا.

المجتمع الروماني – نشأة المجتمع:

لابد من دراسة المجتمع الروماني من الوقوف على التطورات التي اعترته، لاسيما و ان بعد الثقة و وفرة الاحداث و الفتوح تركت فيه تأثيرا واضحا، و أعطت الصراع الطبقي مظاهر شتى، فبعد ان تألف المجتمع من رعاة و مزارعين متساويين أصلا، سرعان ما برزت الملكيات الكبرى و استأثر كبار الملاكين بالمراعي الخصبة و حرموا المزارعين و الرعاة من ارتيادها فاشتد النفوذ بين الصفين.

المجتمع الجمهوري:

و مع قيام الجمهورية (٥٠٩ ق.م.) اشتد التباين بين الطبقات الاجتماعية فغدت ثلاثا: الاشراف و الموالي و العامة و الأشراف قوامهم الاسر الغنية من كبار ملاكي الاراضي و القطاع، توزعوا في عشائر عدة كل منها بضع مئات على رأسهم شيخ له السلطة المطلقة حتى على الارواح.

بينما توزعت العامة في أسر شبيهة بأسرنا اليوم، معظمهم من الفلاحين، انفجر العامة في ثورة اجتماعية لمغادرة روما، و معنى ذلك بوار الموسم، فأجبر الاشراف ان يتخلوا عن الديون التي لهم في ذمة العامة، و افاد العامة من هذا النصر الاولي و ناولوا حق انشاء جمعية شعبية تنتخب بدورها عشرة ممثلين سموا حماة العامة، لهم حق النقض ليبطلوا به القوانين المضرة بمصلحتهم، و تبعت هذا الفوز منجزات اخرى، ففى عام ٤٤٥ ق.م. اجاز القانون الزواج بين طبقتي الاشراف و العامة و اضحى للعامة رأى في انتخاب القنصلين و اختيار اعضاء مجلس الشيوخ و تكلل نجاحهم باقرار المساواة الاجتماعية بين الطبقتين.

اقول: و هكذا قضاء على الطبقية شعاع من اشعة التعاليم الالهية ان : كلكم من آدم و آدم من تراب و لا فضل الا بالتقوى كما نراه في كافة الديانات الالهية و لا سيما الاسلام.

ديانة الرومان و ظهور المسيحية:

عدَّد الرومان آلهتهم و جعلوا لكل من مظاهر الحياة الها...الا ان صلتهم باليونان ثم بفلسفتهم الالهية قد اثرت فيهم فتساهلوا في امور الدين.

تميزت ديانة العبرانيين بابتعادها عن المظاهر المادية و بعبادة اله سماوي سموه « يهوه» هو الله و بواسطة كليمه موسى أنزل الله وصايا العشر، و قام ميثاق بين الله و موسى، و لكن ديانة العبرانيين لم تسلم من الشرق احيانا فثارت ثائرة الانبياء و ندوا بالمشركين فردوا الملحدين، و آخر انبيائهم كان يحيى الذي بشر بقرب مجيء المسيح، فكانت ديانة العبرانيين اقرب الديانات الموحدة إلى المسيحية حتى اذا جاء المسيح قال : « أتيت لأكمل لا لأنقض».

إنّ المسيح عليه السلام كسائر النبيين عليهم السلام كان من الدعاة إلى التوحيد الله كما يحكي عنه القرآن و إنجيل برنابا الحواري و بعض الآيات من سائر الآناجيل.. الا أنّ عقيدة التثليث و التبني و الصليب و الفداء و ابطال شريعة الناموس، هذه العقائد الشركية و الاباحية اخذت تتسرب و تترسب في التعاليم المقدسة المسيحية، إلى حيث كأن المسيح نسخة من بوظا و برهما و ان المسيحية هي البوظية و البرهمية بعينهما؛ فالمسيحية اليوم خليطة من وحي الرحمان، و وحي الشيطان، مزيجة من حقائق الهية ومن خرافات بشرية.

جاء المسيح عليه السلام داعيا إلى الله قاضيا على عبادة الاوثان و الطواغيت منددا بطاعة علماء اسرائيل الطغاة الذين يعلق بلحاهم الطويلة الشيطان، هؤلاء الذئاب المتمثلة بمثال الرعاة الذين كانوا يشرون بآيات الله ثمنا قليلا و يأكلون اموال الناس بالباطل.. كان يندد بهم في الجماهير و يدعوهم ليرجعوا إلى حكم الله، و لكنهم طالما عاندوه و عارضوا حتى ظنوا انهم صلبوه رغم انهم: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ (٤: ١٥٧)

أُصبحت الديانة الروحانية الموحدة المصلحة المسيحية، أُصبحت اليوم و منذ رفع المسيح إلى السماء، اباحية شركية لا مطمح و لا مطمع فيها الا للاريحية الدينية للذين يريدون ان يجمعوا بين الدين و التحلل عن اسر الشريعة، صنع لهم بولص اليهودي دينا يسمح لهم ارتكاب كل رذيلة فانهم مغفور لهم بما فدى و ضحّى مسيحهم على حد زعمهم، تضحية واقعها قضاء حاسم عارم على كافة الديانات الالهية. صنع لهم اناجيل لا ترجع بصالح لا للدين و لا للدنيا، فتراهم مذ تحللوا من هذه الاناجيل اخذوا في التقدم و الحضارة على حد تحللهم، عكس المسلمين الذين تأخروا من حضاراتهم منذ تحلّلوا من تعاليم القرآن.

فحضارة الغرب المسيحي ليست رهن الديانة المسيحية، انما تحلل عن الخرافات الانجيلية و الكدح على ضوء الفطرة العقلية الإنسانية، و الاستحياء بكثير من وحي القرآن و ان كانوا لا يلفظون به او يعكسون امرهم كأن حضارتهم اليوم وليدة الديانة المسيحية.

سبب انتشار المسيحية:

١-و السبب الأصيل في انتشار هذه المسيحية لم تك الا سهولتها لاذواق الاريحيين الصوفيين، فيا لها من ديانة صالحة للاعتناق لا تريد من معتنقيها تقيدا الا بعقيدة الثالوث و المحبة الثالوثية، ثم المسيح هو الذي افتداهم من لعنة الناموس اذ صار ملعونا لاجلهم! فبامكان المسيحي أن يدخل جنة النعيم رغم دخوله في كل رذيلة خلقية و عملية، و اخر المطاف ان يشتري الجنة من القسيس و يستغفر منه ذنوبه بالمال و الجنس!.

فالمسيحية اليوم ليست الا صورة الايمان - الدخيل- لا صورته الصحيحة، تجعل ارتياحا تاما يضمن المجرمين، رغم ان المشركين أيا كانوا ليسوا مرتاحي الضمير كالمسيحيين، اذ هم يجدون خطرا و عقوبة لجرائمهم، اذا فهذه المسيحية أشر من الشرك و اخطر، الا عند المسيحيين المؤمنين على حد تعبير القرآن ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ

فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (٣: ١١٣- ١١٥) أجل، و إنّهم يتلون آيات الله لا اختلاقات الدساسين المحرّفين، و الذين يؤمنون بالله دون الكافرين بكيانه و وحدته القائلين بالثالوث و الابن الالهي، و المؤمنون باليوم الآخر، انه دار الجزاء لا المعتنقون الفداء الصليبي القاضي على جحيم النار اطلاقا، و الامرون بالمعروف الناهون عن المنكر، دون من يرى الشريعة أسرا و لعنة و ان المسيح افتداهم من لعنة الناموس.. أولئك هم الذين ما يفعلوا من خير حسب الانجيل الصحيح فلن يكفروه و ان لم يهتدوا السبيل إلى الاسلام - احيانا- جاهلين قاصرين غير معاندين.

و اخيرا حقيقة نصرح بها ان المؤمنين بالمسيح على حزبين : المؤمنين حقا و هم القلة القليلة الذين آمنوا به ايمانا صحيحا و سبب ايمانهم نصوع التعاليم الصالحة المسيحية.

٢- و الصوفيين الاريحيين الاباحيين الذين يهدفون من وراء اعتناقهم المسيحية أن يستروا مفاسدهم الخلقية تحت ستار الدين الاباحي الذي يكتفي بالمحبة في سبيل المسيح دون شرط العمل، و هم الاكثرية الساحقة، و لقد كانت الدول المسيحية تؤيدها بكل الطاقات لانها أيضا تؤيدها و لا تعارضها، و لانها ديانة و ليست سياسة و محبة و ليست عملا و سعيا، و هذان مما يريده الاستعمار طوال التاريخ، و لقد وجد بغيته في هذه المسيحية و لذلك يزودها بالقوة و المال في كافة المجالات الدعائية.

ثم لما جاء الاسلام أسلم المؤمنون او و قليل من الاخرين ايضا، اذ كانوا مشتبهين، و ليس سبب انتشار الاسلام الا وضوحه و ملاءمته للعقل و الفطرة و واقع الحياة الإنسانية، لا السيف و لا النار، لانهما ليسا بالذي يخلق الايمان، ثم يدوم، انما هما دفاع عن حوزة الاسلام او حمل على الشهادة اللفظية لكي يعتبر الكافر مسلما ثم يتدرج عقليا و فطريا لقبول واقع الاسلام كما سنفصله في فصله.

الكنيسة:

اهتم بولس مؤسس المسيحية اليوم بتأسيس كنائس المدن و المقاطعات التي يكرز فيها فجعل على رأس كل كنيسة ممثلا عنه يدعى اسقفا، و يساعد الاسقف عدد من القسس و الشمامسة، و تكاثرت الكنائس و تكتلت في كل ولاية، فعلت بذلك مرتبة اسقف كنيسة العاصمة و ولايتها على الولايات، فعلت بذلك مرتبة اسقف اسكندرية في مصر و اسقف قرطاجة في شمال افريقيا، اما روما عاصمة الامبراطورية فقد اختارها بطرس - هامة الرسل- مركزا له فكانت لها الاولوية بين سائر الاسقفيات و لا تزال البابوية اليوم وريثة هذا الواقع.

آباء الكنيسة:

ان فئة من القديسين اكملوا عمل الرسل و الشهداء و لقبوا بآباء الكنيسة، اذ وطدوا اركان الكنيسة و تعمقوا بجذور العقيدة و الايمان، و اعتبرو ما خلفوه من مؤلفات حجر الاساس بالنسبة للاهوت. و في القرن السادس عشر - عند ما قام الاصلاح البروتستانتي و الكاثوليكي- احس المصلحون انهم بحاجة للعودة إلى ما كتبه آباء الكنيسة، و من مشاهيرهم بين الشرقيين (افرام السرياني) و (يوحنا الذهبي الفم) و في الغرب (اغسطينوس) و (ايروتيموس) مترجم الكتاب المقدس إلى اللغة اللاتينية.

تاثير المسيح:

.. و مما لا يربه شك ان السيد المسيح بتعاليمه النيرة المشرقة كسر ثورة المادية الاسرائيلية و سواها، و حرض الجماهير على الاقبال إلى الروحانيات و الاخلاق، و لولا التحريفات و التشويهات البولصية القاضية على تعاليم المسيح، لاصبحت المسيحية من اعظم الوسائل لترقية الإنسان في العقائد الصالحة و الاعمال الحسنة، و مذ نشبت في المسيحية العقائد الوثنية و الاباحية و الاريحية، اصبحت المسيحية ستارا و تبريرا لكثير من الاعمال الشريرة و العقائد الخرافية،

فهذا هو وحي الشيطان البولصي الذي يحرف وحي الرحمان، و يجعل منه مخدرا و سترا خياليا على القبائح!

الحضارة الاسلامية -الحضارة العربية_-العرب قبل الاسلام - العرب بعد الاسلام:

...العرب قبل الاسلام:

كان العرب قبل الاسلام لا شئ و أصبحت بعد الإسلام كل شئ إلى حيث استفادت من حضارتها على ضوء الإسلام كل دول العالم، و الواقع التاريخي شاهد الامرين تماما.

ارض العرب:

... بلاد العرب قطر صحراوي فسيح تبلغ مساحته حوالي ثلاثة ملايين كيلو متر مربع، و هي شبه جزيرة تقع في الجنوب الغربي من آسيا، يحدها الخليج العربي و بحر عمان من الشرق و المحيط الهندي من الجنوب، و البحر الاحمر من الغرب، و بادية الشام و بلاد الرافدين من الشمال، و هي بهذا الموقع تحتل مركزا غاية في الاهمية بالنسبة للمواصلات و المبادلات التجارية بين عالم من البحر المتوسط و عالم المحيط الهندي.

العرب البدو:

في عصر ما قبل الاسلام كانت كل أسرة عربية تملك خيامها، و يشكل مجموعة هذه الخيام عشيرة، و بتجمّع العشائر ذوي القربى تتألف القبيلة، و كان التضامن مطلقا بين اعضاء القبيلة الواحدة، بينما نجد موقفها مع القبيلة المجاورة مختلفا تمام الاختلاف، اذ تصبح الاخيرة فريسة تترصدها للهجوم عليها و نهبها، و يتولى الرئيس قيادة التشكيل القبلي. و ينتخبه مجلس القبيلة (الجماعة) مراعاة لثروته او لصناعته الحربية.

التاريخ السياسي:

لم تعرف بلاد العرب قبل الاسلام شكل الحكومة المركزية، و انما قامت فيها وحدات سياسية على أسس قبلية - كما قلناه- تفاوت تنظيمها وفقا لتباين اتساع نطاق نفوذها و سلطتها، و هذه ابرز المظاهر السياسية في تاريخ العرب قبل الاسلام.

الدويلات العربية:

لقد تأسست منذ الالف الثالث قبل الميلاد دويلات تعاقبت على مسرح الاحداث و ساهمت فى تشييد البنيان الحضاري في المنطقة - خارج الجزيرة العربية - دون أن تؤسس دولة في نفس الجزيرة قبل الاسلام، حتى تأسست الدولة العالمية الاسلامية على ضوء الاسلام، اجل اختصت مكة المكرمة بين البلاد بجمهورية - لا سياسية - و انما تجارية؛ فعلى الرغم من أنّها كانت في أول عهدها مقاماً دينياً، فقد برع اهلها في شئون التجارة، و مع الزمن اصبحت مكة جمهورية تجارية يرأسها الموسرون من أكابر قريش الذين اتاحت لهم موارد التجارة و مناصب البيت الحرام جاها و وسائل للترف على اوسع نطاق، و ابتنى قصي مؤسس مجد قريش فى اواخر القرن السادس الميلادي دار الندوة ليجتمع فيها كبار اهل مكة تحت امرته للتشاور في شئون البلد، و إلى عبد المطلب يعود الفضل في انقاذ مكة من غارة ابرهة سنة ٥٧٠م (عام الفيل).

حياة العرب الدينية:

و حياة العرب الدينية، بصورة شاملة كانت الديانة الوثنية كما فصلنا من ذي قبل.

الحياة الاجتماعية:

مكان المرأة : كانت المرأه عند العرب كالحيوان تبتاع و تشترى و تقتل لا لشيء الا لانها عار على اهلها و كما يقول القرآن : ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (١٦: ٥٨ - ٥٩).

كانت المرأة لا ترث بل كان يرثها الوارثون، و لم تكن لها نفقة و لا صداق، انما عليها ان تتعب في مختلف الاشغال و تخدم العائلة ثم لا تملك نفسها و لا مالها و لا عرضها و... حتى جاء الاسلام و اعطاها كل شئ كما نراه في الحقوق الفردية و الجماعية المنزلية و سواها للمرأة المسلمة.

التراث الفكري:

لا نجد للعرب تراثا فكريا الا غارات متواصلة و مغازلات بالاشعار، و سرقات و مقامرات و شتى ألوان البغاء، و على الجملة كانت العرب جماع كل رذيلة فردية و جماعية حتى جاء الاسلام و نجاهم من شفا جرف الهلكات.

العرب و المسلمون بعد الاسلام:

أصبحت العرب بعد إسلامهم أرقى و أقوى دول العالم إلى حيث أثرت حضاراتهم في شتي المجالات، و أثرت في سائر الملل، اينما حل الإسلام ووصل صيت الإسلام و صوته.

العرب، و هم اولى حاملي الرسالة الإسلامية، سبقوا الامم في الحضارات الإسلامية، ثم كل امة دخلت في الإسلام أصبحت متحضرة حسب مقدار تأثير الروح الإسلامية فيهم، فليست العرب- اذا - هم الذين حضّروا الامم، إنّما هو الإسلام قدر ما حل محله فيهم او من سواهم، إنّما هو محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله الرسول الاعظم حامل الرسالة العظيمة الإلهية هو الذي حضّر الامم، و من تعاليمه «لا فضل لعربي على اعجمي و لا لاعجمي على عربي و لا.. الا بتقوى الله.. كلكم من آدم و آدم من تراب، ان اكرمكم عند الله اتقاكم».

و مما قضى عليه الإسلام هو القومية العربية ضمن القوميات اذ ركز دعوته على تقوى الله اينما حلت، في عربي او أعجمي.

لذلك نرى القرآن يندد في سورة فذة رأسا من رؤوس عم الرسول صلى الله عليه وآله أبا لهب ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (١١١: ١) و الرسول محمد يعتبر سلمان الفارسي محمديا ((لا تقولوا سلمان الفارسي بل قولوا سلمان المحمدي)) و لما يسأل سلمان أنت بن من؟ يجيب أنا إبن الإسلام.

أجل ، ان الروحية الاسلامية هي التي حضرت الامم روحيا و ماديا، و أثرت في أصلب الامم و ابعدهم عن الحضارة و الإنسانية و بأحرى في سواهم، و مع انهم نقطة الابتداء و حملة الرسالة، أصبح المحمول إلى هم أفضل منهم وأتقن في الايمان و الحفاظ على الرسالة منهم، كما يشهد به الواقع و التاريخ و المؤلفات و الآثار العلمية.

العرب و المسلمون:

فاذا قلنا (العرب و المسلمون بعد الإسلام) لا نعني بذلك إمتياز العرب على سائر المسلمين لأنّهم عرب و إنّما لأنّهم هم نقطة الإنطلاق و الإبتداء، و إنّ من عظيم تأثير الإسلام أنّ أثر فيهم أيضاً و صنع منهم رجالاً صالحين أخذوا في صناعة التاريخ و الحضارات، و لكن القبلية الزمنية ليست بالتي تقدمهم تقدمهم و تمييزهم عن سائر المسلمين، كما القوميون العرب يخيل إلى هم، و الا فلنقل (المسلمون) أو (المسلمون العرب) لتأخرهم عن سواهم من المسلمين في الحضارات الإسلامية اخيراً... و على أيّة حال فليس الا الإسلام و لا أيّة قومية او إقليمية و لا ما سواهما من ميزات يتمسك و يفتخر بها من لم يستخلص إلى الروحية الإسلامية.

لذلك فمن الواجب الا يفرد العرب عن المسلمين، لأنّه بكلا المعنيين غلط : بمعنى امتياز العرب على سائر المسلمين، أو بمعنى عدم كونهم مسلمين.. أنّما: (المسلمون) و لا سواه.

و تحزّب العرب - على مختلف أديانهم - تحزبهم عربياً ضد إسرائيل يجعل الحرب عربية لا إسلامية؛ فانتكاسهم اذا ليس الا إنتكاس العرب لا الإسلام.

و لو انهم اعتبروا الحرب اسلامية لاشترك فيها المسلمون و لم تبق اسرائيل و لا ساعة واحدة، فانما الخسار و البوار في التمسك بالقومية و جعلها هي المراد دون الاسلام.

الحضارة الاسلامية:

... يقال ان كل إنسان - و بكل حضارة و ثقافة- انما هو ابن ماضية، تتبنى شخصيته مما أخذ من ماضيه، تتبنى شخصيته مما أخذ من ماضيه و ما درس، و هذا صحيح لحد ما، اعني انه ليس ضابطة كلية، فقد يوجد إنسان ليس ابن ماضيه، بل هو ثورة على حاضرة و ماضيه، و هكذا إنسان قليلا ما يوجد كإنسان الارض و وليد البينة، و ان يثور رغم البيئة و يتبنى غير ما نشأ عليه، فانما هو إنسان السماء الذي يثور على كل حاضر و غابر فاسد فيقال : انه ابن الوحي - وحي السماء - لم يدرس في مدرسة الارض، و ليست شخصية وليدة اية مدرسة الا مدرسة الوحي.

هكذا تكون الحضارات الحاصلة من وحي السماء، و ان كانت كل لاحقة منها تمشي ممشى سابقتها في جذور القيم و المثل الاخلاقية، و لكنها تختلف عنها بالاكمل و الكامل، و ان كانت كل الشرائع الالهية كاملة لا نقصان فيها، الا ان طبيعة الشرع الالهي ان يتكامل حسب ما يحتاجه الإنسان فى متطلبات الحياة، حتى وصل الدور إلى الشريعة الخالدة و هي شريعة القرآن، و انها ثورة على حاضرها و غابرها، هيمنة على كتابات الوحي السالفة، تزييفا لما تدخل فيها من أوهام، و تصديقا و تكميلا لما كان منها من وحي السماء، و تأسيسا لما لم يكن فيها من اسس تلائم الخلود.

اذا فالحضارة الاسلامية ليست ابن ماضيها، الا في جذور العقائد و الاحكام، استمرارية لها لانها لن تتبدل، انها وحي يستمر، فبصيغة أخرى ليست ابنا الا نفسها.

يقصد بالحضارة - في صيغتها العامة - مجموعة المعارف و التشريعات و النظم و العادات و الآداب التي تمثل الحالة الفكرية و الاقتصادية و الخلقية و السياسية و الفنية و سائر مظاهر الحياة المادية والمعنوية في مرحلة من مراحل التاريخ، و في بقعة من بقاع الارض، سواء شملت شعبا او اكثر.

ان غاية الحضارة الارتفاع بالحياة الإنسانية فكرية عقلية، و مادية معيشية و نفسية خلقية، و اجتماعية إلى جانب الحياة الفردية، و الحضارة الصالحة

الخالدة هي التـي تلائـم كافـة هـذه المتطلبـات طـوال الحيـاة، و الإنسـانية مهمـا تقـدمت فـي العقليـة لا تـتمكن أن تحضّـر نفسـها هكـذا لعـدم الاحاطـة بكـل المتطلبات و المقاييس و الحوادث الجارية.. و لذلك نجد ان الحضـارات طـوال التاريخ ليست الا ابنـاء ماضـيها، تبنـت عليهـا و تكاملـت قـدرا مـا دون ان تصـل بشريا إلى الذروة. و لكن الحضارات الناتجة عـن وحـي السـماء، اذا اخـذت عـن مبادئها، انها لا تكاد تنـدثر و تنـدحر، الا اذا كانـت مؤقتـة بـنفس الـوحي، الا فـي الوحي الاخير الذي يمشي مع الزمن و لا تندحر و تندثر.

فالحضـارة الاسـلامية الآخـذة مـن وحـي القـرآن و السـنة القاطعـة الملائمـة للقرآن، هذه الحضارة من حقها الخلود، اذ لا تكاد تجد فيها اي ظلم و نقصان و اي انحراف و انجراف.

لا تجد اية حضارة بشرية الا و فيها خراب عامدا او جاهل، فقد تجدها جميلـة رائعة في حالتها الحاضـرة، و لكنهـا تـؤدي باتجاهاتهـا و توصـل بـه واقعهـا إلـى التـردي و التقهقـر و الخـراب، و تحمـل فـي ثناياهـا بـذورا فاسـدة لا تبـدو فـي الحاضر نتائجها، و هكذا كل الحضارات البشرية ليس فيهـا بقـاء و صـلاح الا مـا كان من وحي السماء.

أجل، - و لأنّ الحضارة بصحيح معناها- هي التي تفسح المجال لنمو العقـل و تفتّحه و اكتشافه آفاق الوجود، فتزيده علما و معرفة نافعة، و هـي التـي تزيـد مـن قدرة الإنسان على السيطرة علـى الطبيعـة ليسـتثمرها لنفعـه، بعـد ان يتحـرر مـن سلطانها فترفع بذلك من مستوى حياته، و تحقق له الكثير من رغباته، و تزيد مـن سعادته و تسهل امر معاشه، و تمكنه كذلك من السيطرة على نفسـه و روحـه كمـا فسـحت المجـال امـام عقلـه لترتفـع فـي آفـاق أسـمى و لتغيـر مـن ابتـدائيتها و حيوانيتها، فتنمي فيه الايثار و البذل مكان الاثرة و الشح، و تجعل هدف الإنسان : الخير لنفسه و لغيـره - لا لتحقيـق اللـذة و الاسـتئثار و الوصـول إلـى مراتـب، لا لتحقيق الشهوة و الحيونة..

... و هكذا حضارة لا تجدها الا في الاسلام الصحيح دون سواه.

الحضارة الحديثة:

لم تستطع الحضارة الحديثة أن تضع حياتا إنسانية انما حيوانية في أغلبها، و إنسانية أحيانا لانها وليدة أبوين سماوي و أرضي، فمن حيث الولادة السماوية ورثت تركة ضخمة غنية، فنمتها في بعض جوانبها، و لكنها من حيث الولادة الارضية أضعفتها في جوانب أخرى غدت ضامرة هزيلة.

انها من ناحية فتحت للعقل الابواب و فسحت المجال واسعا و أكملت في الجانب المادي .. لقد استطاعت ان تسمو كثيرا في الارتفاع فأوجدت نبغاء عظاما في الفكر او بعض نواحيه على الاقل.. و لكن نقص الحضارة الحديثة يبدو في أمور:

انها حضّرت و جندت كافة طاقاتها في النواحي المادية، و تركت المثل العليا الإنسانية، فلا ايمان و لا أخلاق و لا عطوفة و لا رعاية لحق الا مضيّقة، فترى الحق في مجتمع معين - كالانكليزي- يضمن إلى حد كبير- ثم نجد الانكليزي نفسه ينتهك هذا الحق و لا يقره في مجتمع آخر يعتبره دونه، فلا يزال الظلم و الغصب و القتل قانونا سائدا بين الشعوب، كذلك و أحيانا في داخل بعض الشعوب التي تمثل أرقى ما وصلت إليه الحضارة الحديثة من الوجهة المادية كالامريكاني، اذ لا تسوي بين حقوق الابيض و الاسود و هما يعيشان في بلد واحد و تحت رعاية حكومة واحدة، و حتى الآن لا يستطيع الشاب الاسود أن يدخل الجامعة الا على رقابة البوليس.

أجل، و لأنّها أخذت الجانب المادي فقط، و اعتبرت الإنسان مكينة لا تهدف الا الانتاج المادي فحسب، و لذلك لم تستطع أن تزيد من حساسية الضمير البشري حتى يغضب للحق و يثور على الظلم و يغار على انتهاك الحرمات، لم تستطع أن تقوي فية عاطفة الايثار و الرحمة و الفداء و التحرر و الاخلاص.فلئن كانت قد حررته إلى حد كبير من سلطان الطبيعة فانها لم تستطع أن تحرره من نفسه رغم أنه أحرى ما يتصور من الحريات العاقلة، انها أخفقت في هذا الميدان أيمًا اخفاق، فعبدت المادة و الشهوة فقط فأصبحت حيوانا كاملا في الحيونة، و

لذلك لم تستطع و لن تستطيع أن تؤمّن التوازن بين الناحية الفكرية و الناحية الخُلقية فحدث الاختلال و الاضطراب.

أجل، و انها رغم تقدمها في الناحية المادية تأخرت و أخرت البشرية عن قيمتها الروحية، فأدى ذلك إلى اضطراب شديد في حياة الإنسان في غاية الخطورة، و جعلت سيرها في تطورها متجها إلى أهداف سينة ضارة ترمي بالإنسان إلى شفاجرف هارمنهار، إلى البوار و الدمار روحيا، و حتى من حيث الكيان الحيواني، اذ ان الصنعة استعملت في حروب لا إنسانية تهدد البشرية بالفناء العام، و استعملت في تحريك الشهوات جنسية و سواها، دون ان تدبر لها حدا تقف دونه..و هكذا استحقت هذه الحضارة ان يقال في شأنها أنها أشر و أخطر من الرجعية في شئون الحياة المادية القرون الوسطائية بكثير الا أن تدرك نفسها بوحي السماء، و تتدارك أخطائها قبل أن تقضي بالإنسانية نحبها... و الا ان تؤمن بالحضارة الاسلامية التي تبنّتها و غذتها من الناحية المادية، لانها الآن ابن شريكين : وحي الارض و وحي السماء، و لانها كذلك تطغى، فلابد لها أن تتبنى أساسا من جديد و ترجع إلى معنوية والدها حتى ترث خيراته و تصلح حياتها..

حضارتان و ليست واحدة:

ان الاسلام يدفع إلى التقدم في كلى جزئي الكائن الإنساني : روحية و مادية، مستخدما الناحية المادية ايضا في ترقية الروح، في حين أن الحضارة الحديثة لا تعتبر الإنسان، الاملكا عليه أن يترك الجوانب المادية، فبالرغم من تفريط الاولى و افراط الثانية، ان الاسلام يأخذ طريقة وسطى هي المثلى، بين الملك و الحيوان، و اذا استخدم الإنسان حيونته ذريعة في سبيل الكمال الإنساني أصبح أرقى من الملائكة أيضا.

ان الاسلام في صيغة مختصرة - هو فوق الزمان و المكان- لا يخص زمانا محدودا، انه كالشمس يجري بنوره الخالد على قلوب و أفكار المكلفين أنى كانوا و اينما و كيفما، و ذلك رغم من يحصرونه في زمن مضى أو في العرب،

نقيض واقعه الشامل للازمان، و ما تدل عليه نصوصه الثابتة، و منذ القديم حاول مناوئوا الاسلام حصره او عزله عن الحكم، و لكي يستريحوا عن أطر القوانين الالهية الخالدة، و يعطوا الشهوة و الحيونة حريتها المطلقة.

التبشير و الاستشراق :

و من ألد أعداء الاسلام هما التبشير و الاستشراق، و كلاهما من دعائم الاستعمار، يهدفان توهين القيم الاسلامية و تقطيع أواصر القربى بين الشعوب الاسلامية، و التنديد بحالهم، و الازدراء بهم في المجالات الدولية.

الاسلام المفترى عليه:

فهناك الدعوة إلى ان القرآن : كتاب مسيحة يهودي نسخه محمد بما درسه من علماء الكتاب، كما نجده في كتيبات الاستاذ الحداد ((دروس قرآنية)) و قد قضينا على هذه الفرية في مؤلفاتنا الثلاثة : ((المقارنات - رسول الاسلام في الكتب السماوية - عقائدنا)).

وأن الاسلام دين مادي لا روحية فيه ، يدعو إلى الدنيا و ليس إلى صفاء النفوس و المحبة ! و أن السلام يميل إلى الاعتداء و الاغتيل و يحرض أتباعه على القسوة على غير المسلمين ، كما أنه يدعو إلى الحيونة و الاستغراق في ملذات الدنيا. و هناك الدعاية : أن الفلسفة الاسلامية فكرة يونانية ترجمت إلى اللغة العربية! و أن اللغة العربية الفصحى لم تعد صالحة اليوم، و بدلا منها يجب أن تستخدم العامية و اللهجات الدارجة، كما يجب أن تستخدم الحروف اللاتينية عوضا عن الاحرف العربية.

و هناك الدعوة إلى: احياء الفرعونية في مصر ، و الآشورية في العراق ، و البربرية في شمال افريقيه ، و الفينيقية على ساحل فلسطين و لبنان ، و إلى تفضيل الفارسية كلغة آرية على العربية كلغة سامية ، و إلى أن الذي حمل امارات الحياة الادبية الجديدة في الشرق الاسلامي و حمل مظاهر الحضارة عامة ، هم نصارى لبنان الذين تعلموا و استوحوا من جهود المبشرين

الامريكيين في سوريا. و هناك دعوة إلى التنفير من حياة المسلمين الحاضرة، لانها حياة بدائية ذليلة! و أنّ السبب في ذلك هو تعاليم الاسلام و التمسك بها!

و نرى التبشير و الاستشراق في هذه الدعايات الكافرة سواء، و الفرق بينهما أن الاستشراق أخذ صورة البحث و ادعى لبحثه التابع العلمي الاكاديمي، بينما بقيت دعوة التبشير في حدود مظاهر العقلية العامة و هي العقلية الشعبية في الشرق؛ و المؤسسات الاسلامية، على تعددها و تنوعها، لم تعرف تماما حتى الآن وضعية التبشير و الاستشراق في توجيه الشعوب الاسلامية حتى تحاول استئصالها، او تجاهلت ذلك او كاد.

و ليست مبالغة من القول ولا مجازفة أن نقول : ان خطر الاستشراق أعظم من خطر التبشير، اذ المستشرق يكتب و يقول كأنه محقق اسلامي يحب الاسلام و يصدقه و يحاول التعريف به، ولكنه يكمن وراء تحقيقه أن يشوه سمعة الاسلام؛ ففي حين نري المستشرق الفرنسي غوستاولوبن يكتب تاريخه الضخم عن السلام، نراه يدرج خلال تحقيقاته التاريخية ((ان السبب في عدم الرباط بين الآيات القرآنية هو أمية محمد و انه كان يعرضه عند اصدار الآيات شبه جنون لايميز فيه الرباط الصحيح بين الآيات))! و بذلك وحده يفتك ما غزله من التاريخ الاسلامى و كفاه هدما و استئصالا للاسلام!

و كما نرى«جاك.س. ريسلر» في كتابه «الحضارة العربية»[١] بعد ما يعرف بالقرآن كأجمله، يزيله بما يذبله قائلا : (فلا يستطيع أحد أن ينكر ان سلطانه (القرآن) السحري و سموه الروحي يسهمان في اشعارنا بأن محمدا كان ملهما بجلال الله و عظمته!).

و نراه لما يكتب عن العرب قبل الاسلام يقحم قول : (ان المرأة كان لها منزلتها المرموقة عند العرب و مما دفعهم إلى وأد البنات أحيانا غيرتهم عليهن

---

١. الذي ترجمه ـ غنيم عبدون بمراجعة د. احمد فؤاد الاهواني.

لكيلا يملكهن رجال آخرون و يتزوجون بهن! و ان العرب كانت لهم حضارتهم و ثقافتهم رغم عدم ملائمة الظروف الطبيعية!).

و نراه يفسر الحروب الاسلامية انها قاسية مناقضة لما كان عليه محمد بداية دعوته قائلا:

«كان محمد يقول في بداية دعوته أنه« ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ..﴾ (٢: ٢٥٦) و أمهل الكافرين رويدا» و في ذلك الوقت أقر النبي ابقاء السلام على إلى هود و المسيحيين الذين كانوا يؤمن بالله و كان لا ينبذ الا عابدي الاصنام.. لكن هذه الطريقة التي يبدو فيها التسامح الجميل و المسالمة العظيمة لم تجتذب الا قليلا من الانصار و لم تستمر وقتا طويلا. و في الحق كان الاضطهاد كفيلا بأن يملأ روح محمد بالمرارة، لذا يتضح العنف الذي راح يلعن به المشركين ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَ لْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٩ : ١٢٣) و هكذا و بالضرورة حدد هذا الرأى مشروعية الجهاد».

و هكذا نرى المستشرقين كيف يفترون على الاسلام افتراءات كلفرة جاهلة قاتلة خلال تعريفهم به و تأريخهم عنه، و نرى الكثير من القارنين المسلمين مكبين على قراءة هذه الكتب الضالة زعما منهم أن فيها نصرة الدين المبين و انتصارا من الكافرين!

فالحق يقال : ان الاستشراق لون من ألأم ألوان التبشير، لاءم نفسه مع ظروف الحياة.

دعايات المبشرين ضد الاسلام و المسلمين:

ان طريق التبشير لتوهين المسلمين لم يكن الدعوة إلى المسيحية و العمل على ارتداد المسلمين إلى النصرانية مباشرة، انما كان طريقه تشوية الاسلام و محاولة أضعاف قِيَمه، ثم تصوير المسلمين في وضعهم الحالي بصورة مزرية بعيدة عن المستوى الحضاري في عصرنا الحاضر.

فالمونيسيور كولي في كتابه (البحث عن الدين الحق) يصور الاسلام كالتالي : (الاسلام في القرن السابع للميلاد) برز في الشرق عدو جديد ذلك هو الاسلام

الذي أسس على القوة و قام على أشد أنواع التعصب، و لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه و تساهل في أقدس قوانين الاخلاق، ثم سمح لأتباعه بالفجور و السلب، و وعد الذين يهلكون (يستشهدون في سبيل الله) في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات «الجنة»، و بعد قليل أصبحت آسيا الصغرى و افريقيا و اسبانيا فريسة له حتى ايطاليا هددها الخطر و تناول الاجتياح نصف فرنسا، لقد أصيبت المدنية، و لكن هياج هؤلاء الأشياع «المسلمين» تناول في الاكثر كلاب النصارى...

ولكن أنظر: ها هي النصرانية تضع بسيف شارل مارتل سدا في وجه سير الاسلام المنتصر عند بوانية (٧٥٢م) ثم تعمل الحروب الصليبية في مدى قرنين تقريبا (١٠٩٩- ١٢٥٤) في سبيل الدين فتدجج اوروبا بالسلاح و تنجي النصرانية، و هكذا تقهقرت قوة الهلال أمام راية الصليب و انتصر الانجيل على القرآن و على ما فيه من قوانين الاخلاق الساذجة)).[١]

و يقول أديسون: ((محمد لم يستطع فهم النصرانية و لذلك لم يكن في خياله منها الا صورة مشوهة بنى عليها دينه الذي جاء به العرب)).[٢]

و يقول المبشر الامريكي هنري جيسب: (المسلمون لا يفهمون الاديان و لا يقدرونها قدرها..انهم لصوص و قتلة و متأخرون، و ان التبشير سيعمل على تمدينهم).[٣]

و يقول جولمين في كتابه تاريخ فرنسا ((ان محمدا مؤسس دين المسلمين قد أمر أتباعه أن يخضعوا الهالم، و ان يبدلوا جميع الاديان بدينه، ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين: (المسلمين) و بين النصارى! ان هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة و قالوا للناس: أسلموا أو موتوا. بيننا أتباع المسيح ربحوا النفوس

---

١ .ص ٢٢٠ ط ١٩٢٨.
٢. المصدر السابق.
٣. المصدر السابق.

ببرهم و احسانهم. ماذا كانت حال العالم لو ان العرب انتصروا علينا؟ اذن لكنا مسلمين كالجزائريين و المراكشيين)).[١]

و هكذا ترى الدعايات الكافرة التبشيرية تتوارد على الاسلام عنادا او جهلا و تجاهلا، و أكثر ما يرددونه قصة القيام بالسيف رغم انه لم يكن بداية الدعوة إلى ثلاثة عشر عاما، ثم لما قوي المسلمون بعد هجرتهم إلى المدينة أخذوا يدافعون عن دينهم و أنفسهم و أعراضهم بدافع الإنسانية و الديانة و استئصالا لجذور الفساد و الافساد، و قضاء على أعداء الإنسانية و الديانة الالهية، كما المسيح عليه السلام كان من آماله أن يضع السيف و لكن لم يجد انصارا لهذه البغية، و هل يا ترى بالامكان فرض الايمان بالقوة، بالسيف و النار، ثم يبقى هكذا ايمان في أعماق القلوب يدافعون عنه بالنفس و النفيس!

زملاء ثلاثة:

..نجد زمالة عريقة بين التبشير و الاستشراق و الاستعمار فما أن وجد الاستعمار أن زميله يخدمانه مجدين، زودهما بالسلطان و المال، أجل ـ انه التقت مصلحة المبشرين مع أهداف الاستعمار فمكن لهم و اعتمد عليهم في بسط نفوذه في الشرق، و أقنع المبشرون زعماء الاستعمار بأن المسيحية ستكون قاعدة الاستعمار الغربي في الشرق.

منشورات الاستشراق:

نجد منشورات: مجلات وكتب للمستشرقين تعني تحريف الاسلام و اذلاله و تشويهه تحت نقاب تاريخ الاسلام، و من أخطر المجلات التي يصدرها المستشرقون الامريكيون فى الوقت الحاضر هي مجلة (العالم الاسلامي) أنشأها صمويل زويمر فى ١٩١١ - و طابعها تبشيري سافر، و للمستشرقين الفرنسيين مجلة شبيهة بهذه في روحها و اتجاهها العدائي التبشيري و اسمها Lemonde-musulwan.

---

١. ص ٨- ٨١ من كتابه.

و لعل أخطر ما قام به المستشرقون حتي الآن هو (دائرة المعارف الاسلامية) بعدة لغات، و مع الأسى نجدها مرجعا لكثير من المسلمين في دراستهم، رغم ما فيها من خلط و تحريف و تعصب سافر ضد الاسلام و المسلمين.

في العصر الحديث تقوم المؤسسات الدينية و السياسية و الاقتصادية في الغرب بما كان يقوم به الملوك و الامراء في الماضي من الإغداق على المستشرقين و حبس الاموال و المنح على من يعملون في حقل الاستشراق، و اتجه المستشرقون و المبشرون بمعاونة الاستعمار إلى مجال التربية محاولين غرس مبادىء التربية الغربية في نفوس المسلمين حتى يشبوا (مستغربين) في حياتهم و تفكيرهم، و حتى تخف في نفوسهم موازين القيم الاسلامية (أنظر مجلة الاسلام، ص ١١٤ الصادرة في مارس ١٩٥٨).

لا يعرف العقل و لا المنطق حدا لما يقوم به المستشرقون من تحريف للتأريخ الاسلامى و تشويه مبادئ الاسلام و ثقافته و اعطاء المعلومات الخاطئة عنه و عن اهله، و كذلك يجاهدون بكل الوسائل لينتقصوا من الدور الذي قام به الاسلام في تاريخ الثقافة الإنسانية، فان حاول أحدهم الجانب الحيادي في الاستشراق و التخفيف من أثقال التعصب تجد شيطانهم الحادقين يهبّون في وجهه يطالبون بالموضوعية، و مثال ذلك ما كتبه (الفرد جيوم) تعليقا على كتاب (محمد في مكة) من تأليف (مونتجمري وات) يهاجم (جيوم وات) لانه خرج عن الخط التقليدة للمستشرقين في بعض الاتجاهات (أنظر ص ١٣٨ مجلة الاسلام ١٥ ابريل ١٩٥٨).

و إليكم فيما يلي جدولا من أسماء المستشرقين.[١]

المستشرقون المعاصرون:

ابراهام كاسين : عرف من نشاطه انه مؤلف كتاب (اليهودية في الاسلام).

---

١. ننقلها عن كتاب ((الفكر الاسلامي الحديث)) تالى ف الدكتور محمد البهي و كما استفدنا الكثير منه خلال بحوثنا في هذه المحاضرات.

س. س. أدمز: انجليزي باشر التدريس في الجامعة الامريكية بالقاهرة لفترة من الزمن و مؤلف كتاب (الاسلام و التجديد في مصر) المترجم من الانجليزية إلى العربية تحت العنوان المذكور.

ادوارد أبر: استاذ في الجامعة الكاثوليكية في واشنطن.

ادوارد فرمان: من ألد اعداء الاسلام و أكثر المستشرقين طعنا فيه، له كتاب بالانجليزية عن (تاريخ المسلمين و فتوحاتهم).

ادوين كالفرني: أمريكي متعصب رأس تحرير مجلة (العالم الاسلامي) الامريكية، لفترة من الزمن، و من محرري دائرة المعارف الاسلامية، و من الذين باشروا التدريس في الجامعة الامريكية بالقاهرة عدة مرات، معروف باتجاهات تبشيرية سافرة.

أريك شرودر: مؤلف كتال أمة محمد_ الذي صدر بالانجليزية ١٩٥٥.

ج. س. آرثر: مؤلف العناصر الصوفية في محمد الذي صدر بالانجليزية ١٩٥٤.

آرثر جيفري: معروف بتعصبه السافر ضد الاسلام و المسلمين و من كتبه (مصادر تاريخ القرآن) صدر بالانجليزية ١٩٣٧ - و الكلمات الدخيلة في القرآن بالانجليزية و القرآن ككتاب ديني صدر بالانجليزية ١٩٥٢.

ت. و. أرنولد: انجليزى اشترك في تحرير دائرة المعارف الاسلامية و من كتبه : الدعوة إلى الاسلام - ترجم من الانجليزية إلى العربية تحت العنوان المذكور- و الخلافة- صدر بالانجليزية ١٩٢٤- تراث الاسلام - صدر بالانجليزية ١٩٣١.

ارنولد توينى : انجليزي له أخطاء فيما كتب عن الاسلام و الرسول، في كتابه العالمي (دراسة في التاريخ) و خطؤه هنا شديد الخطورة، لان الكتاب يعتبر أحسن دارسة موضوعية للتاريخ في العصر الحديث في نظر الكثير من الناس و خاصة الشرقيين، و العرب منهم بوجه أخص.

إلدر: قسيس يساهم في تحرير (مجلة العالم الاسلامي) التي تصدر بالانجليزية في أمريكا.

الفرد كارلتون: أمريكي كان مديرا الكلية حلب ثم عين نائبا لرئيس جمعية البعثات الامريكية التبشيرية في الخارج.

اج.ا.ا.ايزنبرج: من محرري دائرة المعارف الاسلامية.

ل.ا.ا.ايزنبرج: من محرري دائرة المعارف الاسلامية.

و. ايفانو: من محرري دائرة المعارف الاسلامية.

ف . بابنجر: من محرري دائرة المعارف الاسلامية.

اباجليارو: من محرري دائرة المعارف الاسلامية.

ج. بارث: من محرري دائرة المعارف الاسلامية.

ر . باريت: من محرري دائرة المعارف الاسلامية.

ر . باست: من محرري دائرة المعارف الاسلامية.

ا . بيشوب: قسيس يساهم في تحرير مجلة (العالم الاسلامى).

بروان: انجليزي كان عضوا بالمجمع العلمي العربي في دمشق.

ل .ل. بروان: قسيس امريكي يساهم في تحرير مجلة (العالم الاسلامى) الامريكية.

س.س. برج: من محرري دائرة المعارف الاسلامية.

هـ. هـ. برو: من محرري دائرة المعارف الاسلامية.

ال. بروفنسال: من محرري دائرة المعارف الاسلامية.

ر . بل: انجليزي كثير الخطأ في حديثه عن الاسلام و القرآن و من كتبه : (أصول الاسلام في بيئة المسيحية ١٩٢٦) - « القرآن» ١٩٣٧ - مقدمة القرآن ١٩٥٤.

ر. بلاشير: فرنسي و مؤلف كتاب « مقدمة القرآن» ١٩٤٧.

م. بلسيز: من محرري دائرة المعارف الاسلامية.

ف . بول: من محرري دائرة المعارف الاسلامية.

ت. ف . بوشنر: من محرري دائرة المعارف الاسلامية.

اس. بيفريدج: من محرري دائرة المعارف الاسلامية.

س. هـ. بيكر: من محرري دائرة المعارف الاسلامية.

اس. تريتون: من محرري دائرة المعارف الاسلامية.

ر. تشودى: من محرري دائرة المعارف الاسلامية.

توماس جوينبول: من محرري دائرة المعارف الاسلامية.

ا.جروهمان: من محرري دائرة المعارف الاسلامية.

جو دفروي ديمومنز: من محرري دائرة المعارف الاسلامية و له كتاب عن الحج فيه كثير من الخلط و التشويه (انظر ص ١٣٣ من العدد ١ من المجلد ٩ يناير ١٩٢٥ من مجلة جمعية الدراسات الشرقية).

و. جوركمان: من محرري دائرة المعارف الاسلامية.

ب. جويل: من محرري دائرة المعارف الاسلامية.

ج.ل. دلافيدا : من محرري دائرة المعارف الاسلامية.

و هكذا خمسة و عشرون آخرون من مؤلفي دائرة المعارف الاسلامية.[١]

ل. جوثير: فرنسي متعصب دينيا و جنسيا، كثير التشهير بالاسلام و الحقد عليه.

ر. روبرتز: انجليزي و مؤلف (القوانين الاجتماعية في القرآن) و هو دراسة مقارنة بين القرآن و التوراة في القوانين الاجتماعية ١٩٢٥.

ستوك هورج رونجه: هولندي و من محرري دائرة المعارف الاسلامية، حارب الاسلام و المسلمين بكتبه و كان مستشارا لحكومته في شؤون أندونيسيا له كتاب « الاسلام»

و من المستشرقين الخطرين الذين تعد كتاباتهم حجة بين الغربيين و شبه حجة بين المسلمين:

ا.ح. أبرة : الانجليزة المعروف بالتعصب ضد الاسلام و من محرري دائرة المعارف الاسلامية و من المؤسف أنه استاذ لكثير من المصريين الذين تخرجوا في الدراسات الاسلامية و اللغوية في انجلترا و من كتبه:

---

١. راجع المصدر.

الاسلام اليوم ١٩٤٣ - مقدمة لتاريخ التصوف ١٩٤٧ - التصوف ١٩٥٠ - ترجمة القرآن ١٩٥٠.

هـ. ا. ر. جب : أكبر مستشرقي انجلترا، من كبار محرري دائرة المعارف الاسلامية، له كتابات كثيرة فيها عمق و خطورة و منها :

طريق الاسلام - الاتجاهات الحديثة في الاسلام - المذهب المحمدي - الاسلام و المجتمع العربي.

س. م. زويمر: مستشرق مبشر اشتهر بعدائه للاسلام، مؤسس مجلة العالم الاسلامي الامريكية التبشيرية مؤلف كتاب (الاسلام تحدّ لعقيدة) ناشر كتاب «الاسلام» و هو مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر التبشيري الثاني في سنة ١٩١١ بلكنو في الهند، و تقديرا لجهوده التبشيرية أنشأ الامريكيون وقفا باسمه على دراسة اللاهوت و اعداد المبشرين.

غ. فون جرونبام : من أصل الماني يهودي مستورد إلى أمريكا للتدريس بجامعتها و كان استاذا بجامعة شيكاغو من ألد أعداء الاسلام، فى جميع كتاباته تخبُّط و اعتداء على القيم الاسلامية و المسلمين، كثير الكتابة و له معجبون من المستشرقين و من كتبه:

اسلام العصور الوسطى ١٩٤٦ - الاعياد المحمدية ١٩٥١- محاولات في شرح الاسلام المعاصر ١٩٤٧ - دراسات في تاريخ الثقافة الاسلامية ١٩٥٤- الاسلام ١٩٥٧ مجموعة من المقالات المتفرقة- الوحدة و التنوع في الحضارة الاسلامية ١٩٥٥.

ا. ج. فينسينك : عدو لدود للاسلام و نبيِّه، كان عضوا بالمجمع اللغوي المصري ثم أخرج منه على أثر أزمة أثارها الدكتور الطبيب حسين الهوارى مؤلف كتاب (المستشرقون و الاسلام ١٩٣٦) و حدث ذلك بعد ان نشر فينسينك رأيه في القرآن و الرسول مدعيا ان الرسول ألف القرآن من خلاصة الكتب الدينية و الفلسفية التي سبقته، انظر - المستشرقون و الاسلام ص ٧١٠ و ما بعدها هذا و المعروف لفينسينك كتاب تحت عنوان «عقيدة الاسلام» ١٩٣٢.

هؤلاء و مئات أمثالهم و إليكم بعضا من مؤلفاتهم الخطيرة المشوهة للاسلام و الشائعة الانتشار و لها شبه حجية عند المسلمين:

الموسوعات:

دائرة المعارف الاسلامية صدرت بعدة لغات حية، موجز دائرة المعارف الاسلامية - دائرة معارف الدين و الاخلاق- دائرة معارف العلوم الاجتماعية- الموضوعات المتصلة بالاسلام و العرب - دراسة في التاريخ : القسم المتصل بالاسلام و رسوله تأليف ارنولد توين‍ي.

الكتب:

((حياة محمد)) سير وليام موير ((الاسلام)) الفرد جيوم ((دين الشيعة)) د.م. دونالدسون ((تاريخ شارل الكبير)) القس تيربن ((الاسلام)) هنرى لامنس ((الاسلام تحد لعقيدة)) المبشر ذويمر ((دعوة المئذنة)) كينيت كراج ((الاسلام اليوم)) اج. آبرى ((تاريخ مذاهب التفسير الاسلامي)) جولدزيهر ((تاريخ العرب)) فيليب حتي ((إلى هودية في الاسلام)) ابراهام كاش ((عقيدة الاسلام)) اج. فينسينك ((الحروب و السلام في الاسلام)) مجيدي قدوري ((تطور علم الكلام و الفقه و النظرية الدستورية في الاسلام)) د. ب. ماكدونالد ((الاتجاهات الحديثية في الاسلام)) ((طريق الاسلام)) هـ.ا.ر.ر.جب و كذلك ((التصوف في الاسلام))ر.ا.نسكلسون ((مصادر تاريخ القرآن)) آثر جيفري ((أصول الاسلام في بيئته المسيحية)) ر. بل، و له ((مقدمة القرآن)) ((التطورات المكبرة في الاسلام)) د. س. مرجوليدث، و له ((محمد و مطلع الاسلام)) و له ((الاسلام)) و له ((الجامعة الاسلامية)) ((اسلام العصور الوسطى)) ج.فون جرونبام، و إلى العشرات العشرات من هذه التأليفات السامة للمستشرقين، و على المسلمين ان ينتبهوا من غفوتهم و غفلتهم.

هؤلاء الاعداء الثلاثة: الاستعمار و التبشير و الاستشراق - لا يزالون في محاولة تشوية الاسلام، و لكنهم لا يجدون بغيتهم الا عند الجهال الذين لم يدرسوا

الاسلام، و أما الذين درسوا الاسلام صحيحا فهم يعرفون مدى العناد و التعصب العارم من هؤلاء الشياطين..

فإلى الحضارة الاسلامية لنعرف انها هي الحضارة الخالدة التي لا يبليها مر الزمن و كرور الدهور:

الحضارات الاسلامية:

ان الاسلام حضر البشرية مبدئيا بكل ما للحضارة من معاني سامية - عقلية و علمية و خلقية و ايمانية - اقتصادية و صناعية و زراعية و عمالية - سياسية و حقوقية و جزائية و...

فالاسلام صانع الحضارات الخالدة و كتاب شريعته (القرآن) ككتاب التكوين لايعرف غوره و عمقه، و انما على البشر ان يسبر غوره لكي يحصل على الجديد من صالح الإنسان و ما يسعده في الحياة.

الحضارة العلمية:

..نرى القرآن يحرض البشرية على التقدم في العلم دون ان يحد له حدا ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (٢٠: ١١٤) و على التعقل و التفكر في رموز الخلقة و في صالح الحياة لحد يعتبر غير المفكر المتعقل كالانعام ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ (٧ : ١٧٩) و يعتبر طلب العلم عبادة كأفضل العبادات اذ كلما ازداد طاعة لله تعالى و تطبيقا لاوامره.

و من ناحية أخرى يتحدى العقلاء و العلماء من الانس و الجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا، و نرى العلماء من كل الطوائف و الاديان طوال أربعة عشر قرنا لم يستطيعوا ان يعارضوا القرآن و لا في آية واحدة، بل اننا نرى العلم يخدم و يفسر القرآن على تعبير ابن عباس ((ان للقرآن متشابهات يفسرها الزمن)).

أليس هذا دليل على أن القرآن يضم من العلوم اللانهاية، و أنه أهم و دعظم ما عرفه البشر طوال التاريخ من كتب و من أفكار تحرض على التقدم في العلم..

ان دراسة القرآن واقعية متحللة عن التعصباتذ تقنعنا أنه كتاب لا مثيل له في كل الحضارات التي تتطلبها الحياة الإنسانية في كل المجالات؛ فليتعب أعداء الاسلام أنفسهم ليل نهار في فريتهم عليه انه يعاند العلم - لا يا أغبياء - انه يعاند الجهل و الجهال كأمثالكم - و يعاند حياة الحيونة و الشهوة التي أنتم مكبون عليها و تختصون الحياة بها ثم تعتبرون حياة الإنسان التي يهدي إليها الاسلام- تعتبرونها حياة الجهل! لا يا أغبياء!!..

المسلم الكادح:

..نرى القرآن لما يريد التعبير عن واقع الإنسان المسلم يخاطبه انه : كادح لا كدحا في الحيونة فحسب، و لا في الروحانيات فحسب، انما كدحا شاملا لصالحة في المعرفة و التطبيق ﴿يَا أَيُّهَا الْإنسان إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (٨٤: ٦) انه يريد من الإنسان ان يهدف في كدحه ربه، يدرس كيفية الكدح و مداه من ربه، ثم ينحو في كدحه منحى الرب، هدف واحد خالد سام يخلد الإنسان في كدحه، دون الاهداف الفانية التي تفني الإنسان و تهدره هدرا.

تحرير الإنسان:

..لقد كانت عقيدة التوحيد و أفراد الله بالعبادة طريقا مباشرا لتحرير الإنسان من سلطان الآلهة المزيفة و الملوك المستبدين و المتمولين العاتين و الاقوياء الظالمين، و كانت نقطة انطلاق لتحرير البشر من انواع العبوديات الفكرية و الاجتماعية و السياسية و من تسلط بعضهم على بعض، و لاشعار الناس بالمساواة فيما بينهم باعتبار أنهم كلهم عباد الله و خلق من خلقه امتازوا بكرامة الآدمية.

ذاتية الاسلام:

انا نعيش في عصر تلتقة فيه المذاهب و الحضارات و لذلك فقد التبست المفاهيم و غطت الاسلام أحيانا او أدخلت عليه بعض الالتباس.

فمن المراحل التي مرت على الاسلام هي مرحلة الاتهام الموجه إليه من الاستعمار و الاستبشار و الاستشراق، و قد وقف دعاة الاسلام يدافعون عنه على انه متهم في قفص، فكأن الاسلام مجرم يراد ان يدافع عنه. ثم مرحلة أخرى

أصبح الاسلام فيها يقاس بمقاييس غيره او يقوم بقيم غيره - : فالاسلام صالح لانه مبني على الديمقراطية او لانه متطور! كان هذه المقاييس هي الاصل لكي نحاول أن نقوّم الاسلام بهذه القيم التي نستعيرها من سائر المذاهب السياسية والاقتصادية و الفكرية، رغم ان للاسلام ذاتية و مقاييس خاصة، و انه بناء لاكمل الحضارات الخالدة.

التطور في الاسلام:

و قد يقال ان الاسلام متطور يلائم كل أطوار الحياة، فلو أنهم يريدون من التطور الاصول و القوانين و القيم الاخلاقية، اذا فهو كذب و فرية بيِّنة على الاسلام، فان التطور في الحياة قد يكون تحسنا و ارتقاء و قد يكون ترديا و انتكاسا بل انقراضا.

و لو كان القصد من التطور ان الاسلام يطور الإنسان من النقص إلى الكمال و منه إلى الاكمل، و ان له قوانين و ضوابط عامة يمكن ان تطبق في كل العصور دون ان يقصر عن اعطاء متطلبات الحياة، فهذا حق، الا أنه قل من يقول به او يفهمه.

ازدواج الشخصية:

..من المسلمين من هو مسلم في شعائره و غير مسلم في تفكيره و هؤلاء نوع من المخلوقات الفكرية او النفسية في زماننا، و من اخطار الازدواجية في الشخصية ظاهرة تأويل كثير من احكام الاسلام من اجل المطابقة بينها و بين المذاهب الاخرى التقدمية- على حد تعبيرهم- فيحللون شطرا مما حرمه الله تعالى معتذرين انه اصبح عادة و سنة للحضارة، و الاسلام دين الحضارة، أو ان علة الحرمة كذا و كذا - مما يزعمونه علة لها- فاذا زالت العلة زال المعلول، أو أن الغاية تبرر الوسيلة كما نسمعه كثيرا بين المسلمين المتقدمين.

و من جراء هذه التأويلات استعمال ألفاظ اصطلاحية جديدة فانها تجر إلى نتايج خطيرة جدا، ذلك ان نقل الالفاظ من عقيدة إلى عقيدة أو نظام إلى مذهب

او نظام آخر يجر معه ملابستها و المفاهيم المتصلة بها في تلك البيئة التي كانت فيها.

فمثل ألفاظ الدميقراطية و الاشتراكية و الحرية التي نشأت و عاشت في اجواء و بيئات معينة، و اقترنت بمفاهيم و نظريات خاصة، اذا استعملناها -حين نعبر عن نظام الاسلام و مفاهيمه - تتعرض لخطر ادخال مفاهيم غريبة او احداث انحراف في الاتجاه.

و مثل: ان الطبيعة أعطت لبنان مناخا صالحا و منحت سواحلها أمطارا كثيرة، أو أن الطبيعة غضبت فبخلت بالامطار و حركت أمواج البحر...

ان هذه التعابير وليدة نظرة القرن الثامن عشر فة اوروبا حين أحلوا الطبيعة محل الله فألهوها و انكروا وجود الله، و هي نظرية الحادية واضحة، و هذه الالفاظ تلقين ضمني لاشعوري لنظرية الالحاد و لاسيما بين الناشئين.

و من ذلك تبديل اليمين بالله باليمين بغير الله كما يقال: باسم الشعب - باسم الرئيس..أو اشراك غير الله بالله كما يقال باسم الشاه و باسم الله- او الشعار المثلث ((الله - شاه- وطن)) في حين يرى الاسلام كل ذلك اتجاهات وثنية.

و كما بدل متعلق الايمان بآلهة الارض او الوطن أو القومية العربية.

فقد تستخدم الفاظ جديدة لتحمل معاني دينية و لكنها تضيف إليها ما حملته من مفاهيم ضالة، و قد تستخدم ألفاظ و صلاحات دينية و يراد منها مفاهيم و مصاديق غير دينية، و هكذا يبذر الالحاد في قلوب الناشئين.

الديموقراطية و الاشتراكية:

و من هذه الالفاظ الجديدة الديموقراطية و الاشتراكية اذ يقال ان الاسلام هو النظام الديموقراطي و الاشتراكي، رغم انهما منحرفان عن النظام الاسلامي.

الديمقراطية:

ان الديمقراطية في روحها و عند اصحابها نزعة تقابل الاستبداد الفردي و احتكار طبقة أوأسرة الحكمَ و السيادة، فهي اشراك الشعب أو اكبر عدد منه في

الحكم، فهل بامكاننا القول : ان الاسلام ليس ديمقراطيا لكي يستفاد انه استبدادي؟ أو يقال انه ديمقراطية باعتبارها نظاما سياسيا في أوروبا اقترنت بأفكار و مفاهيم عن الإنسان و المجتمع، و انبثقت عن فلسفة لا يقبلها الاسلام، فمن أسسها هي أن الفرد هو الاصل في الدولة، و الدولة مهمتها مقصورة على تنسيق حريات الافراد حتى لا تصادم.

فهذه الفلسفة تؤدي إلى المساواة بين الايمان و الالحاد في مجال الفكر، و بين الاباحية و التقيد في مجال السلوك الخلقي، و بين الرأسمالية المترفة الطاغية و التقيد لمصلحة الجماعة، و الاسلام لايقبل التسوية بين هذه الاتجاهات، و لايمنح الحرية المطلقة التي تؤدي إلى الباطل و الرذيلة و الظلم.

ثم تباين آخر هو آن الحكم في الاسلام ليس الا الله تعالى و على الدلة تطبيقه، دون أن يسمح لها بتقنين شئ أو نقصه عن حكم الله، و لكنه في الديمقراطية حكم الشعب المتمثل في الشورى، اذا فهما مذهبان مختلفان في اصولهما و جذورهما و فلسفتهما و نتائج تطبيقهما. اجل، ان الاسلام ذو نزعة ديمقراطية تمنع استبداد الحكام و يمكن الشعب من مراقبتهم و محاسبتهم، و يراعي مصلحة المجتمع حسب حكم الله لا كما يهواه المجتمع.

الاشتراكية:

نقول عن الاشتراكية ما قلناه عن الديمقراطية بالقياس للاسلام، فاذا فهمنا من الاشتراكية مذهبا شاملا له فلسفته و مفاهيمه و نظامه الاقتصادي كالشيوعية التي هي أحد أشكال الاشتراكية، فان الاسلام يباين الاشتراكية، و لكن للاشتراكية معنى آخر منتشرا في العالم و هو اشراك جميع افراد الشعب في المنافع و المصالح، و عدم استثناء فئة من الناس بالمنفعة، و تدخل الدولة في تقييد الفعاليات الاقتصادية وفقا للعدالة، و الاشتراكية بهذا المعنى تتلاءم مع الاسلام في مفهومها العام مهما اختلفت معه في التطبيق أحيانا.

و اذا صنفنا المذاهب صنفين : احدهما مبني على مصلحة الفرد و حريته المطلقة و هو المذهب الفردي، والاخر مبني على مصلحة الجماعة او المجتمع كله و هو المذهب الجماعي، فالاسلام مع مراعاة التوفيق بين مصلحة الفرد و الجماعة هو اقرب إلى الثاني.

لذلك نقول لا يجوز التعبير عن النظام الاسلامي بالديمقراطي او الاشتراكي، فانما هو نظام خاص عادل جمع فيه بين حقوق الفرد و المجتمع، لا أصالة الفرد و لا أصالة المجتمع، انما الفرد ضمن المجتمع.

الحضارة الاقتصادية في الاسلام:

...اننا لا نقدم الحضارة الاقتصادية هنا الا لانها أصبحت الميزان الوحيد و مقياسا للقيم الإنسانية في زماننا و ان كنا قدمنا شطرا قليلا من الحضارات المعنوية الاسلامية ايضا.

ان نظام الطبقات في الاسلام و معالجة الصراع الطبقي الذي نراه في الاسلام، لا نجد له مثيلا عبر التاريخ و لن نجده حتى آخر العصور البشرية.

ان الاسلام يجرح الرأسمالية و الشيوعية معا فهو بين النظامين نظام مستقل عادل وسط.

و قد يظن السطحيون ان وجود مبادئ معينة في النظام الاسلامي قد تميل به نحو اليمين أو اليسار و قذا افتراء عليه.

فان مبدأ الملكية - مثلا- يشترك في الاعتراف به النظام الاسلامى و الرأسمالي، و تحريم الفائدة الربوية يوجد في كلا النظامين أحيانا كما في البعض من الرأسماليين المسلمين - و هذا لا يعني ان الاسلام رأسمالي، انه نهج مستقل يستقي من وحي السماء ثم يمضي في مجراه المرسوم لنفع الناس و حماية مثلهم العليا.

ان الشيوعية عدو واقف على ابواب البلاد يتربص، و الرأسمالية عدو داخل الحدود يعربد و يغتال، و على المسلمين تعريف الإسلام إقتصاديا و احراج الموقف على عدوية و إخراجهما من البلاد، و لا تكفي الثرثرة بأن الشيوعية فساد

و الحـاد، و انمـا معالجـة المشـكلة هـي الكفـاح العلمـي و التطبيقـي الإقتصـادي الإسلامي.

دوافع الشيوعية:

ان ثالوث الجهل و الفقر و المرض لهو من اكبر الدوافع إلـى الشـعوعية و انمـا يعالجها الثقافة الاسلامية و الكفاية الماليـة علـى ضـوء الاقتصـاد الاسـلامي، ثـم محاربة الأمراض الروحية و الجسمية على هذين الضوئين.

ان سياط رأسـمالية الغاشـمة تكـوي الجلـود، و طالمـا القـرآن يحـارب قارونيـة الحكرة و الاختـزان لاصـول الحيـاة الماديـة، و طالمـا يحـارب رجـالات الـوحي هؤلاء الغنيا الاغبيا ، و لذلك تراهم انهم ألد أعداء الدين المحاربين اياه، و لكـن البعض من رجال الدين - او بـالاحرى بعـض المعممـين مـن غيـر رجـال الـدين- يكتفون بالنصـيحة، أو يتركـون الاثريـاء فـي اثـرائهم يهـوون، لانهـم يرزقـونهم و يرضونهم و يغضبون الله فلايبالون .

اننا لو اغمضنا النظر عن الإلحاد الفلسفي في الشيوعية، ثم قايسنا بينها و بـين الرسمالية لوجدنا الشيوعية الاقتصادية اقرب إلى الاسلام !

و مما يزري و يخجل ان جماهير المسلمين اشبه بالغيوم الكثيفة حـول شـمس الاسلام، تميت شعاعه و ترد نهاره ظلاما طويلا ، و لا يشعرون بالمسـؤولية الهامـة امام ألله و امام الناس، لا يبرزون الاسلام الحقيقي ثم لا يجاهدون في سبيله.

لقد أصبح الإسلام تراثا عقليا مجردا بين القليلين من المسلمين ، ثم لا اسـلام اطلاقا بين الاكثرية الساحقة منهم .

ان اليهودية اضحت صهيونية معتدية، و المسـيحية أضـحت اسـتعمارا خبيثـا، و المسلمون بخلوا عن الحفاظ على اسلامهم عقليـا و تطبيقيـا، و لـذلك كلـه نـرى الشيوعية و الرأسمالية - المذهبين الكافرين - يتغلبان على الثلاثـة - علـى سـواء - ثم الصراع بينهما انفسهما ليس نزاعا بـين الكفـر و الايمـان ، ولكنـه غـلاب بـين لونين من ألوان الطغيان .

ثم قد يمتاز الاسلام انه في بطون الكتب موجود بأكمله، رغم ما تلتصق به اشياء غريبة، فانها يعرفها النقاد بسهولة دون أن تحسب خطرا عله، يعرفونها بعرضها على كتاب اله و على العقل السليم و الواقع الواضح، الذين جعلهما القرآن حجة من الحجج .

هذا- رغم انا لا نجد وحي السماء خالصا بين اليهود و النصارى لا في العقلية و لا في التطبيق و لا في التوراة و لا الانجيل فضلا عما سواهما من كتب!

هدم الطواغيت :

ان الاسلام ثورة على المترفين البخلاء الهاضمين حقوق الفقراء ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (٧٠ : ٢٥-٢٤). انه يمجد الايثار دون ان يكتفي بالعدل، و نحن الان لا نطالب الناس بهذا الايثار العالي، اذ كيف نطلب الفضل ممن يضنّ بالعدل، او نطلب التكرم و السماحة من يضن بالحقوق الواجبة ان يدفعها!

لذلك علينا - على ضوء الاسلام العدل- ان نخلع اسنان الطبقات المفترسة حتى نمنعها من القضم، و ان نروض جماحها، حتى لا تعاود ما اقترفته من اثم ، و ان نصحح أفكار العامة و الخاصة حتى لا يبغي أحد على أحد، و حتى يعود الجميع عبادالله اخوانا .

و أما المجتمع المشحون بالمحرومين المظلومين ، المنكوب بالطغاة و الجبارين ، فهيهات ان تتحقق فيه الاخوة ، و أية أخوة بين الظالم و المظلوم و الطاعم و المحروم؟

من المزعج ان نرى ذل الاحتياج على جبين يتصبب عرقا و يتلوث غبارا، و ان نملح الايدي المختبئة في القفازات تلهو بالذهب و الفضة، ثم من المؤسف المبكي أنهم يتهمون القدر الالهي في هذه الطبقية الظالمة، رغم ان النظام

الاقتصادي الاسلامي يعالجها ، فهل يا ترى بالامكان ان يناقض حكم القدر الالهي حكم الشريعة الالهية؟ فهذه من التهم التي تفسح المجال لاعداء الدين ليعتبروه مخدرا و ترياقا للفقراء المعوزين.

كلا - فكما ان الظلم محرم في شريعة الاسلام ، كذلك الانظلام محرم ، فلا يجوز للفقير المهضوم حقه فرديا او جماعيا ان يصبر على كظة ظالم ، فعلى الفقراء المعوزين المتعبين انفسهم في تحصيل المعيشة ، الذين لا يجدون ما يعيشون به ، عليهم الثورة الهدامة على الاغنياء المحتكرين المختزنين ، ثورة على ضوء الحكم الاسلامي ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ...﴾ (٩: ١٠٣).﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ...﴾ (٨: ٤١). «الأرض الميتة انما هى من يحييها .. » دون أكلة الارض و قطاع الطرق.

و علينا - اسلاميا - اذا رأينا ذكاءً أخّره الاهمال ، و غباء قدّمته المحاباة ، او قاعدا ينال الخير و عاملا أعوزه القوت القليل، علينا أن نحارب الظالمين المستأثرين، فمن الإجرام و الفحش ان نقول في تبرير هذه الاوضاع المقلوبة ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (١٣ : ٢٦) فان هذا كقول سفهاء العامة عندما يجدون رجلا يرتكب معصية ﴿ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (٣٥ : ٨) و غير ذلك من الكلمات المحرفة المعاني التي يريدون بسوقها هدم قاعدة الامر بالمعروف و النهي عن المنكر ، و ترك الناس فوضى تصرفهم الشهوات و النزوات. بل الواجب الذي امر به الدين أن نضرب على ايدي الظالمين و ان نعترض على كل تصرف شائن.

اننا لا ننكر ان الارزاق تختلف بمشيئة اللهو لكنه لا يعني جواز الابقاء على فوضى المعيشة دون ان نطبق حكم الله في خدمة الفقراء.

معالجة الفقر اسلاميا :

ان هناك ارزاقا واسعة نتجت عن الخيانة و السرقة و الحت و ليست من رزق الله ، فالواجب هو الحكم العدل فيها وردها إلى اصحابها . و ان هناك ارزاقا

واسعة نتجت عن البخل عن دفع حقوق الله و الواجب اخذها و اعطاءها لمستحقيها . و لو ان الحقوق الالهية دفعت كما يحق لم يبق فقير مسلم على وجه الارض ، و لم تبق حاجة فردية او جماعية - مادية او معنوية الا تمضيه .

أجل، ان الله تعالى عالج الفقر و المسكنة تكوينيا و تشريعيا: ان يكدح الإنسان حسب مستطاعه دون كسل و بتل ، فان اعوزه شيء فمن بيت مال المسلمين، المجموع فيه الضرائب الاسلامية المستقيمة و غير المستقيمة: اعني الزكوات و الاخماس و الكفارات و سائر الانفاقات الواجبة و المندوبة .

تزوير على الدين :

و كل دعوة تحبب الفقر إلى الناس أو ترضيهم بالدون من المعيشة، او تقنعهم بالهون في الحياة ،أو تصبرهم قبول البخس و الرضا بالدنية: فهي دعوة فاجرة يراد بها التمكين للظلم الاجتماعي، و ارهاق الجماهير الكادحة في خدمة فرد او افراد، و هي كذب و افتراء على الاسلام.

و نعني من الفقراء هذا - الناتج من احد الامرين السالفين - لا ان كل من كان أقل مالا من غيره عله ان يثور على من فوقه دون أي مبرر الا انه اغنى منه ! .. كلا : انما الفقر الناتج عن ظلم الاغنياءاو قصور الفقراء .

يقول الامام امير المؤمنين على عليه السلام ((لو مثل لي الفقر رجلا لقتلته)) يعني أن واجب المسلم ان يحارب الفقر ،يحارب دوافعه فيه و في مجتمعه و يجتث جذوره بالكدح و يحمل الاغنياء على الانفاق و منعهم عن الظلم و الخيانة.

سوء فهم :

و قد يتمسك بالقول (الدنيا سجن للمؤمن و جنة للكافر) تبريرا للفقر و اسكاتا للفقراء عن ان يأخذوا حقوقهم ،أو تبعيدا للاسلام عن النظر في ترقية الجانب الاقتصادي من الحياة، و هما تهمتان على الاسلام ناتجتان من سوء الفهم.

لا يا اخي - لا تعني هذه العبارة الا التعبير عن واقع المؤمن في حياته الايمانية، و انها سجن الشهوات اللامحدودة و ان رزق المؤمن الملايين و ملك الشرق و الغرب فانه في سجن الايمان، و الكافر بتحلله من قيود الشريعة و تحرر في الشهوات كأنه في الجنة، ثم المؤمن يرى جنته في الاخرة ﴿ فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ (٤٣ : ٧١) و الكافر في سجن الاخرة ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (٢٢ : ٢٢)

اذا فهذا الحديث و أمثاله لا يعني تعطيل المؤمن عن تحصيل المعاش ، أو تجميده عن الاخذ بحقه المشروع عمن يمتصون دماء الفقراء .

اننا نرى الدنيا بمقوماتها المادية الهائلة سلاحا خطيرا في ايدي اللصوص،و وسيلة فعالة لتعكير الامن وارتكاب الجريمة و اشاعة الفساد .

و لكنها في ايدي حماة الحق المؤمنين بالله ليست الا ذريعة لتحقيق الحق و اذلال الباطل ، فالمتدينون ان فقدوا هذا السلاح فكيف يؤدون رسالتهم في الحياة، أم كيف يتماسك كيانهم فيها ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (٧: ٣٢). فالدنيا - اذا - زينة الله لعباده المؤمنين يسلكون بها مسالك الحق، و هي زينة الشيطان في أيدي الفاسقين يحاربون بها الحق و يعمرون بها صروح الباطل، فأي الفريقين أحق بها ان كنتم تعقلون ؟

اجل - اننا لا ننكر ان الرزق الواسع يجعل بعض المؤمنين ضعفاء الايمان يجعلهم من أهل الشهوات و يخرجهم عن سلك العبودية و كما يقول الله تعالى:

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (٤٢ : ٢٧) الا ان هذه الانتكاسة الجانبية عن الايمان لا تمنع كل المؤمنين عن التوسع في الرزق ، و انما على ضعفاء الايمان ان يكلموا ايمانهم لكي يزيدوا نشاطا في سبيل الله بذريعة المال، و لا يمنعهم كذلك ان يخلصوا

انفسهم عن بؤس الفقر و ذله، و لذلك لا نرى نصا يمنعا عن تحصيل المال، و انما الممنوع التفرغ إلى تحصيل الدنيا و الاعراض عن الاخرة !

فكم بحريٍّ للمؤمن أن يضع قيودا فولاذية على شهواته الطائشة، لا يترك غرائزه تلعب به فلا تملكه نفسه الاثارة بالسوء بل هو يملكها بعقله، فلا ينطلق في الدنيا - كأهلها - حيوانا لا عقل له و لا ضمير .

و انما دفع المؤمنين إلى الفهم المعوج عن تحصيل المال، أنهم لم يجدوا من أغنيائهم الا كل شر و رذيلة، فوقع في أوهام الجماهير البائسة ان الغنى و الفسق قرينان متلازمان.

و لكن على المؤمن ان يكون كادحا في المرحلتين، كدحا في تحصيل المال و كدحا في التوسل به إلى تطبيق أحكام الله ، فانما الحياة عقيدة جهاد.

و مهما يحقر الاسلام المال فانما يحقره في ايدي المترفين من الكفار ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٩ : ٥٥) ، ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (٢٠ :١٣١).

فهذه الآيات لا تعني الا امرين : ان المال في ايدي الكفار ليس خيرا، انه لديهم ذريعة للمزيد من الفسق فالعذاب فلا تمدوا اعينكم إليه -٢- و أنتم لو فقدتم هذه الاموال فرزق ربكم خير و ابقى، و انتم مرزوقون بالرزق الرباني دنيا و عقبى : فهل يا ترى أن معنى ذلك كره بالغنى لابناء الاسلام و حضهم على القنوع البليد و المعيشة المقبوحة ؟ كلا - ان الاسلام اذ يشرب أتباعه روح الاعتزاز بالعقيدة - و لو انهزمت ماديا امام كنز غني مدلل - لا يكره لا تباعه ان تمتلى خزائنهم خيرا و ان تفعم نفوسهم أمانا و طمأنينة ، و انما يمنعهم عن الترف و السرف في المعيشة و ترك الانفاق بالتخزين و التكنيز .

و بالرغم من ان مصادر الرزق المبثوث في تراب الارض و امواج البحر و ذخائر المناجم و غير ذلك لم يدركها جفاف ، بل انه من الممكن ان تكفل اضعاف ما

على الارض من سكان لو انصف الناس و تعاونوا و تطهروا من الغشم و الافتيات و الاستبداد .

بالرغم من هذا كله ضاقت عليهم الارض بما رحبت و نرى في مجتمعنا أمام لقمة القوت وجوها كالحة، و أسارير مقطبة، و عيونا غائرة، و نفوسا حطمها الفشل، و أبدانا أهزلها الضياع، و ذلك لان معركة الخبز الخالدة تدور رحاها على غير نظام متبع او قاعدة مرعية اسلامية أو إنسانية على اقل التقدير، و من البديهي ان الاخوة التي أمر الاسلام بها بين الناس في الإنسانية، و بين المؤمنين بالايمان، هذه الاخوة لن يكون لها وجود في الاحوال التي يختل فيها التوازن المادي اختلافا فاضحا بين بعض البشر و بعضهم الاخر.

ان الشلل الاقتصادي لا يقف لحده ، بل يخلف الشلل العقلي و العقائدي ايضا و كما يقال : ((الناس على دين ملوكهم)) و يقول القرآن في حوار ينقله عن السادة والاتباع بعد ان دخلوا الجحيم : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا...﴾ (٣٤ : ٣٣-٣١).

فاذ قد نرى بلادا تصطبغ احوالها الاجتماعية بهذه الصبغة السوداء، و تقوم فيها الامور على ان جماهير غفيرة ترزقها طائفة قليلة، فان مصير هذه البلاد إلى شر لاريب فيه، ما لم تسارع فيها إلى تحرير الجماهير من العوز المادي و ما يترتب عليه من شلل عقلي.

نحن لاننكر ان هناك نفرا قليلا ممن استعبدوا ماديا لم يستطع سادتهم استعبادهم معنويا، ولكن القاعدة لا تؤسس على هذه القلة القليلة، أفهل تترك الباقين - ماديا و معنويا- صرعى الاغلال؟

ثم نرى من جراء ذلك الضعف النفسي إلى أن يصبح هؤلاء الفقراء عبيد الاصنام الحية من البشر، ثم الفساد السياسي ثالثة الاثافي من صنوف البلاء التي لايصح معها اخاء و لايسلم مبدأ.

الضرورات ثم الكماليات:

و هذه قاعدة عادلة أكد عليها الاسلام انه ما دامت ضرورات الحياة فاشلة فالكماليات لا محل لها و هي ظالمة.

و بلغ عمر بن عبدالعزيز أن بعض اولاده اتخذ خاتما و اشترى له فصا بألف درهم فكتب إليه: (اما بعد فقد بلغني انك اشتريت فصا بألف درهم فبعه و اشبع به ألف جائع و اتخذ خاتما من حديد و اكتب عليه رحم الله امرءا عرف قدر نفسه).

قال يحيي بن سعيد بعثني عمر بن عبدالعزيز على صدقات افريقية فاقتضيتها و طلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد بها فقيرا و لم نجد من يأخذها منهم، فقد اغنى عمر بن عبدالعزيز الناس - قال : فاشتريت بها رقابا فاعتقتهم!

من اين هذا!

و رغم ان الاسلام لاينكر الملكية بل و يقرها، لكنه يضعها تحت الوصاية الدقيقة فيرفض كل تملُّك باطل و يسأل كل مالك : من اين لك هذا؟ ليعرف أهو حق فيبقيه له، أم لا فيسلبه اياه؟

ارفع الي حسابك :

كما الامام أميرالمومنين علي عليه آفضل الصلاة و السلام كان يراقب الامراء فقد كتب إلى بعض عماله : ((بلغني عنك امر و ان كنت فعلته فقد اسخطت ربك و عصيت امامك، بلغني انك جرت الارض فأخذت ما تحت قدميك و أكلت ما تحت يديك، فارفع إلى حسابك و اعلم ان حساب الله اعظم من حساب

الناس والسلام)). اجل انه ليس في نظر الاسلام استئثار الا بالحق و العمل كما يهدي إليه كتاب الله ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (٥٣ : ٣٩).

الملكية في الاسلام:

ان الاسلام يقتل الفقر بالعدل في القسمة كيلا يقتل الفقر الشعب. ففي حين انه يقر الملكية الخاصة يقيدها اولا و اخيرا من حيث التحصيل و من حيث المصرف، حفاظا على تقارب الطبقات و تآخيها.

ان الاثرياء المترفين ممن يدعون الاسلام يختبئمن احيانا لتبرير موقفهم من تخزين الثروات، يختبئون تحت ستار نصوص يفسرونها كما يهوون، أو عملاء يشترون منهم حكم الله، فقد يستندون إلى آيات الزكاة بأنه لا حق في اموال الاغنياء ما سوى الزكاة ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا...﴾ (٩: ١٠٣) ثم يستحلون الثروات المضخمة المستفادة من الخيانة و الأثرة بنذر قليل يدفعون لمن يريدون من الفقراء أو العملاء المتسمين بالعلماء.

مع العلم ان اكثر الاملاك التي غنمها أثريا المسلمين في هذه الاعصار لا تعتمد في جرثومتها و لا في بنائها على قواعد الشرع ، فما غناء الزكاة في هذه الحال؟

أ إذا سرق رجل «تفتيشا» من اموال المسلمين ، أكفيه - لكي يستحله - أن يطعم منه بعض المساكين ؟ او اذا بنى رجل قصرا من دماء العمال و الاجراء استطاع ان يأمن جانب الذين باستئجار بعض «الفقهاء !»

يقرئون في جوانبه ما تيسر من آيات الذكر الحكيم؟

هل الزكاة فقط؟

ثم الموضوع نفسه : فليس صحيحا ما يقال: ان الزكوة فقط هي حق الله في المال، و هي في الغلات الاربع و الانعام الثلاث و النقدين.

فاذا كان فرض الانفاق محصورا في هذه الاموال التسعة _ فماذا اذا مصير سائر الاموال الطائلة التي هي الاكثرية الساحقة من الثروات؟ و ماذا نصنع بنص قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (٧٠ : ٢٥-٢٤) أفلا

يصدق المال على غير هذه التسعة؟! أهي معفو عنا الان الفقراء- و سائر الحاجات في الدولة الاسلام- يكفيهم هذه القلة القليلة من المال؟

و اذا كان الانفاق الواجب محصورا في هذه التسعة فماذا تعني الآية الصريحة في غيرها ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٦:١٤١).

فهل ان الجنات المعروشات و غير معروشات لاتثمر الا الغلات الاربع بخلا عن الفقراء؟ أم ان الزرع فيها يخص هذه الغلات دون سواها؟ أم ان الزيتون و الرمان من هذه الاربعة؟[1]

كلا ان الانفاق مفروض في كل الاثمار. و انما الآية تذكر شطرا فيها ثم تنهي عن الاسراف فيما بقي بعد اخراج حقه.

فهذا تحديد للمالكية من ناحيتين ـ ان شئت سميته زكاتا او انفاقا واجبا غير زكاة فلا مشاحة في الاسماء و لا يحتاج الفقراء ايضا إلى الاسماء.

ثم لو كان المفروض في الاموال انما هو الزكاة فلماذا يمنع القرآن عن تكنيز الاموال قائلا ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (٩: ٣٤-٣٥)

فهل ان كنز المال بعد اخراج الزكاة لايصدق عليه الكنز، على حد تفسير كعب الاحبار لتلميذه عثمان خليفة امية (نظر عثمان إلى كعب الاحبار فقال له يا ابا اسحاق ما تقول في رجل أدى زكاة ماله المفروضة هل يجب عليه فيما بعد ذلك شئ؟ فقال لا- و لو اتخذ لبنة من ذهب و لبنة من فضة ما وجب عليه شئ - فرفع ابوذر رضي الله عنه عصاه فضرب رأس كعب ثم قال له يابن اليهودية الكافرة ما أنت و

النظر في أحكام المسلمين؟ قول الله أصدق من قولك حيث قال ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ﴾ الآية.

و روى عن رسول الله ﷺ انه لما نزلت هذه الآية قال: تبا للذهب تبا للفضة، يكررها ثلاثا فشق ذلك على الصحابة فسأله عمر فقال يا رسول الله أي المال نتخذ؟ فقال: لسانا ذاكرا و قلبا شاكرا و زوجة مؤمنة تعين أحدكم على دينه).

و قد روى علي عليه السلام عن النبي ﷺ: أن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقرائهم، و لن يجهد الفراء اذا جاعوا و عُروا الا بما يصنع أغنيائهم، ألا و ان الله يحاسبهم حسابا شديدا و يعذبهم عذابا اليما.

اذا فليست أنصبة الزكاة الا حدا أدنى لما يجب اخراجه، لا انها هي لا سواها ثم الكنز الممنوع لا يخص الذهب و الفضة، هذين الجوهرين بما هما جوهران، حتى تفتح الباب للماكرين فيبدلوهما بغيرهما من الاموال و يستريحوا الكي بهما.

و انما ذكرا في الآية رمزا لما يملكه الناس كما في الباقري عليه السلام « انه سئل عن الدنانير و الدراهم و ما على الناس فقال : هي خواتيم الله في أرضه جعلها الله لمصلحة خلقه و بها يستقيم شئونهم و مطالبهم...».

و ليس من المعقول ان تختص حرمة الكنز بالذهب و الفضة حتى يستريح الاغنياء بمكيدة ساذجة عن كيِّهما إلى راحة الجنة مهما كنزوا من الثروات الطائلة! ثم هنا آيات تنص على أن في المال حقوقا أخرى غير الزكاة:

الخمس:

منها آية الخمس ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٨:٤٢).

فانها تفرض اخراج الخمس من كل الغنائم و المنافع فنصف الخمس يصرف في سبيل الدعاية الاسلامية ((لله)) لتحكم توحيد الله ((للرسول)) تعريف الرسول

للناس و ابلاغ رسالته ((لذي القربي)) من يحق للحكم بعد الرسول لكي تتركز الحكومة الاسلامية بعد الرسول على ركيزة العدل و التقوى.

ثم النصف الباقي للطوائف الثلاث من كافة الفقراء و المساكين و ابن السبيل بنص القرآن.

و هنا آيات الانفاق غير الزكاة ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ...﴾ (٢ :١٧٧).

فقد تذكر فرض الزكاة أخيرا مع ذكرها بعض المستحقين قبلها - كالمساكين و ابن السبيل و في الرقاب- و البعض من غيرهم لو لم يكونوا فقراء و مساكين كذوي القربى و اليتامى و السائلين.

ففرض الانفاق لهؤلاء الستة لا يعني الزكاة، فللزكاة أصناف ثمانية : ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٩: ٦٠).

الضرائب الاسلامية:

فهناك ضرائب مستقيمة ثابتة معينة كالخمس و الزكاة و أخرى غير مستقيمة كسائر الانفاقات الواجبة في الظروف الملزمة التي لا يكفي فيها الخمس و الزكاة، و ثالثة كفارات و ديات.

و لو أن المسلمين أدوا حقوق الله من أموالهم لما بقي فقير و لا واحد في البلاد الاسلامية، و لكان المسلمون أنشط الامم و أغناهم في الدعايات الواسعة بكل الوسائل والطاقات، و لكانوا أغنى الامم في الاقتصاديات، و لكن هيهات..هيهات و قد تحللنا عن واقع الاسلام إلى لفظة!

فهذا الاسلام الذي يأمر المسلمين بالكدح - بالسعي و العمل- و ينهاهم عن التبتل و التعطل و التكاسل و ان يلقوا كلّهم على غيرهم. هذا الاسلام الذي يمنع عن دكل المال بالباطل : بالربا او القمار او السرقة او البخس في المكيال او الظلم في الاجرة...هذا الإسلام الذي لايرضي بالدنية و لا أن يوجد فقير بائس على وجه الارض...- انه حري له البقاء و الخلود- لو فهمه و عرفه المسلمون و طبقوه!؛ فإلى حقيقة الاسلام - الحرة- ايها المسلمون! و لكي تسود الامم و تسترجعوا السيادة المغتصبة.

الحضارة الثقافية:

...التبحر في العلوم : مما لا ريب فيه ان الاسلام سبق كافة الديانات و سائر الانظمة في الدعوة إلى العلم إلى حيث ثقف أجهل الامم و جعلهم في الصفوف الامامية من المثقفين في مختلف العلوم، و التاريخ أصدق شاهد على ذلك و قد ينقله غير المسلمين أيضا.

يقول «جاك س . ريسلر» في كتابه الحضارة العربية[١] (سيطر الاسلام اثناء خمسمائة عام من ٧٠٠ إلى ١٢٠٠ على العالم بالقوة و العلم و بتفوق حضارته، كما انه استطاع أن يوسع الافق الفكري للعصر الوسيط و أن ينفذ بعمق إلى الفكر و الحياة الاوروبيين.

و قد ارتفعت الثقافة حتى بلغت درجات العرش، ففي بلاد الاندلس كان الخليفة ناصر يتحدث عن أرسطوطاليس و عن افلاطون مع ابن رشد، في زمن كانت طبقة الاشراف في الغرب تتباهى بعدم معرفتها القراءة. و في قرطبة كان العالم الاموي - الحكم يستخدم مكتبة تضم أكثر من ٤٠٠،٠٠٠ مؤلف، على حين أن ملك فرنسا شارل الخامس -أعني العالم الحكيم - لم يستطع أن يجمع بعده بأربعة قرون من هذه المؤلفات أكثر من الف مؤلف.

---

١. لقد غلط جاك اذ سمى كتابه الحضارة العربية فانها اسلامية حضرت العرب كما حضرت غيرهم.

و في الحق ان انشاء المأمون العباسي دار الحكمة في بغداد كان عاملا مهما و حاسما في انتشار العلوم، و يرى ابن خلدون صاحب المنهج الموضوعي في دار الحكمة انطلاق الازدهار المشرق للاسلام.

اسبانيا الاسلامية:

... و في الاندلس - الإسلامي - و صلت جامعة قرطبة إلى مرتبة الصدارة و تبوأت مكانتها قبل جامعتي القاهرة و بغداد، و كان أساتذة من الشرق يدعون إلى القاء الدروس فيها.

و لقد أضاف - الحكم الخليفة - سبعا و عشرين مدرسة مجانية إلى مدارس كثيرة كان من المعتاد أن يدفع لها نفقات التعليم، و وصل مستوى الثقافة إلى حد ان المستشرق الهولندي (دوزي) استطاع أن يقرر ان كل شخص تقريبا كان يعرف القراءة و الكتابة في الاندلس في عصر كانت أوروبا لاتملك فيه غير مبادئ في المعرفة، هذا إلى ان هذه المبادئ نفسها كانت محتكرة لاقلية من رجال الكنيسة، و قد أسست ايضا مدارس أخرى و مدارس ثانوية في غرناطة و طليطلة و أشبيلية و مرسية و المرية و قادس، و كانت المدن المغربية قد أصبحت خلايا حقيقة تزخر بالعلماء و المشرعين و الاطباء و الادباء و الشعراء.

طبيب عبدالرحمن الثالث (ابوالقاسم الزهراوي) علم الجراحة و اخترع طرائق جديدة في الجراحة التي امتد نجاحها فيما وراء حدود اسبانيا الاسلامية بكثير، و كان الناس من جميع العالم المسيحي يذهبون لاجراء عمليات جراحية في قرطبة، فتقدم الطب في هذه البلاد، و في أشبيلية أنجبت أسرة ابن زهر سلالة مهيبة من الاطباء اشتهرت طيلة أكثر من ثلاثة قرون، و كان الاشهر من بين أعضاء هذه الاسرة - و الذي نظر إليه انه رائد - هو ابن رشد الذي كان طبيبا ذائع الصيت و أحد الشخصيات الكبيرة في الفلسفة.

أنّ اسبانيا الإسلامية تستحق مكاناً مرموقاً في ميدان الحضارات، فقد كانت تكتب بحروف من الذهب على باب جامعتها (يستند العالم إلى أربعة أركان : علم الحكماء - عدل العظماء - دعاء الصلحاء- شجاعة الشجعان).

لم تكن بطريق المصادفة أن تحتل المعرفة في هذا البلد المرتبة الاولى ذلك انه بالعلم تأصلت الحضارة الاسلامية في اسبانيا و استمرت بطريقة دائمة لم تأذن لذاكرها أن تمحى بعد.

لقد نفذ العلم الاسلامي و الصناعة الاسلامية بعمق إلى الثقافة الغربية.

و لقد أصحبت الجامعة الاسلامية في الاندلس مرجعا و مقصدا لطلاب العلم و الفضيلة من شتى أرجاء العالم - المسيحي و سواه- رغم العرقلات الكنيسة التي كانت تحول دون قصد الشباب المسيحي للالتحاق بهذه الجامعة الكبرى، فثقفت العالم بأجمعه لمدة غير طائلة.

و نحن مع الواقع العلمي الذي نراه في القرآن لسنا بحاجة إلى حجة التاريخ - اذ نري القرآن تقدَّم العلم فقدَّمه منذ أربعة عشر قرنا - فيما لم يكشف عنه العلم حتى الآن.[١]

وأخيرا ان درس الاسلام دراسة خالية عن التعصب، على تفتح العين النافذة الناقدة، هذه الدراسة تكفي طلاب الحقيقة أن يقدموا الاسلام بكافة أنظمته الحيوية على سائر الانظمة طوال التاريخ، و السلام على من اتبع الهدى.

قم : محمد الصادقي
تليفون/ ٢٩٣٤٤٢٥/

١.راجع كتابنا ((المقارنات)) في البحث عن المقارنات العلمية.